العقيدة الصوفية
في
الدعوة الشرعية

إعداد

الطالب وسيم بن مزمل

تحت إشراف

فضيلة الأستاذ أبي حامد فتح الرحمن بن محمد عثمان البهجي

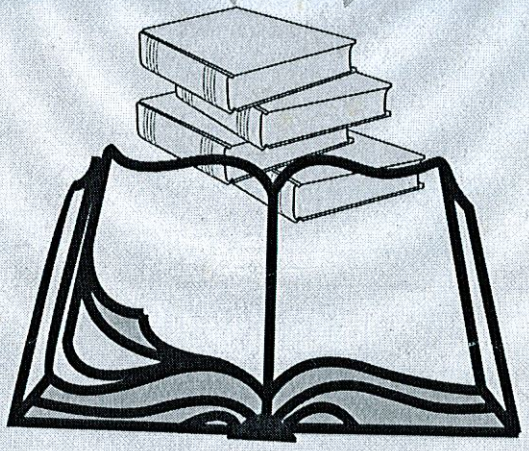

كلية ابن عباس العربية

جالي ، سريلانكا

الحقيقة الصوفية
في
الملة الشرعية

إلى نسمة الروح الشذية التي أمدتني
بالعطاء.... إلى كلمة الحب والحنان

خالتي رحمها الله وأسكنها في جنات النعيم

أهدي بحثي هذا

Art by waseem.

قبسات من كتاب الله العزيز الحميد

(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ.) (سورة البينة :- ٥)

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ.) (سورة النساء :- ١٧١)

(وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.) (سورة الحديد :- ٢٧)

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (سورة آل عمران :- ١٠٣)

(وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ.) (سورة الأنعام :- ١٥٣)

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.) (سورة التوبة :- ٣١)

(الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا) (سورة الاعراف :- ٥١)

(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (سورة الجاثية :- ١٨)

Atlas

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، فرسم للخلق العقيدة السليمة والمبادئ القويمة وبين للناس صراطا مستقيما، وبعث إليهم رسولا كريما، ليبين لهم طريق الهداية.

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده الذي أرسله الله إلى جميع الأمة ليبين ما أراده من التنزيل الحكيم بقوله تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(١) فبيّن صلى الله عليه وسلم العقيدة الصحيحة السليمة بأقواله وأفعاله وتقريراته بشكل كامل واضح مبين.

والرضى عن الصحابة الذين تلقوا العقيدة الصحيحة والسنة النبوية عن النبي الكريم فحفظوها ونقلوها للناس كما تلقوها خالصة من شوائب التحريف والتبديل.

والرحمة والمغفرة للسلف الصالح الذين تناقلوا العقيدة المطهرة وسنة النبي صلى الله عليه وسلم جيلاً عن جيل من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، ابتغاء وجه الله عز وجل.

والعاقبة للذين خلفوا السلف من علماء المسلمين الذين يطيعوا الله ورسوله كما أمروا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)(٢)
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)(٣)
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)(٤)

---

(١) سورة النحل :- ٤٤ .
(٢) سورة آل عمران :- ١٠٢ .
(٣) سورة النساء :- ١ .
(٤) سورة الأحزاب :- ٧٠ - ٧١ .

أما بعد :-

فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار (١)

وبعد :-

فإن الله خلق الجن والإنس لعبادته ، كما قال تعالى :- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢) وأنزل الله الكتاب لبيان حقيقة تلك العبادة كما قال تعالى :- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٣) وقال تعالى :- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٤)

والعبادة حق لله على خلقه ، وفائدتها تعود إليهم ، فمن أبى أن يعبد الله فهو مستكبر ، ومن عبد الله وعبد معه غيره فهو مشرك ، ومن عبد الله وحده بغير ما شرع فهو مبتدع ومن عبد الله وحده بما شرع فهو المؤمن الموحد ، ومن حاد عما بيّنته الرسل ونزلت به الكتب من عبادة الله ، وعبد الله بما يملي عليه ذوقه وما تهواه نفسه وما زينته له شياطين الإنس والجن فقد ضل عن سبيل الله ولم تكن عبادته في الحقيقة عبادة لله ، بل هي عبادة لهواه :- ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ (٥) ومن الناس من شدد في العبادة فأفرط ، ومنهم من تساهل ففرّط ومنهم من اعتدل فتوسط . ومن ضل من فرق هذه الأمة ، كالصوفية فإنهم اخترعوا لأنفسهم خطة في العبادة مخالفة لما شرعه الله في كثير من شعاراتهم ، وهذا يتضح ببيان حقيقة العبادة التي شرعها الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيان ما عليه الصوفية اليوم من انحرافات عن حقيقة تلك العبادة .

وبذلك هذا الجهد المتواضع في الكشف عن مناهج أهل الأهواء والبدع والافتراق ، استجابة لأمر الله تعالى القائل ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (٦) وأخذاً بوصية الناصح الأمين صلى الله عليه وسلم يقول :- (ولقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك) (٧) من حيث أن المشروع للمؤمن دائما الإتباع دون الإبتداع ، واسهاماً في النصيحة

---

(١) رواه ابن ماجة ، الترمذي ، أبو داود .
(٢) سورة الذاريات :- ٥٦ .
(٣) سورة النحل :- ٣٦ .
(٤) سورة الأنبياء :- ٢٥ .
(٥) سورة القصص :- ٥٠ .
(٦) آل عمران :- ١٠٣ .
(٧) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم (٤٨) وصححه العلامة الألباني (١/ ٢٧) .

لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وردًا وإيضاحًا لما يتحمل علينا افتراءات كاذبة على سبيل الخطأ، "بأننا في عقيدة فاسدة مخالفة بعقيدة السلف الصالح".

مع العلم أن كثيرا من العلماء وطلاب العلم قديمًا وحديثًا قد قاموا بواجبهم - جزاهم الله خيرا - في الرد على الصوفية وبيان خطرهم وفساد عقيدتهم، لكني رغبت أن اسهم معهم بجهد المقل الخاص، مع الإشارة إلى أن هذا البحث الصغير لا يغنيك عن غيره أبدا بل بل يحتاج إلى اعتماد غيره من الكتب لمزيد من المعلومات عن الصوفية.

ولا يفوتني في مقدمة هذا البحث أن أنوّه بما بذله أستاذي الفاضل "الشيخ أبو حامد فتح الرحمن بن محمد عثمان" - حفظه الله تعالى وبارك فيه وفي أعماله، (رئيس كلية ابن عباس العربية، وعضو هيئة كبار العلماء في سريلانكا) - من جهود متميزة ومشكورة في إشراف هذا البحث وغيره.

هذا وأسأل الله تعالى الإخلاص في النية والسداد في الرأي والتوفيق في العمل، كما أسأل الله تعالى أن يعز دينه ويعلي كلمته، وينصر عباده الصالحين، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى، وأن يجنبنا الأهواء، والبدع، والفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل الفسق والبدع، وأن يقيم علم الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكتبنا مع المجاهدين في سبيله، فإن الذود عن الدين بالقلم واللسان نوع من الجهاد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأسأل الله أن يغفر لي زلتي ويتجاوز عن خطئي وتقصيري وإسرافي على نفسي ولجميع المسلمين. إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على الهادي البشير والسراج المنير نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خادم الكلية

وسيم بن مزمل

خطة البحث

العقيدة الصوفية في اللغة الشرعية

مقدمة .

ضوابط العبادة الصحيحة .

تمهيد .

.

الباب الأول :-

الفصل الأول :- تعريف التصوف .

الفصل الثاني :- بدء التصوف وظهوره .

الفصل الثالث :- مراتب الصوفية ومصطلحاتهم .

الفصل الرابع :- أقسام المتصوفة وطرقهم وأسمائهم .

الباب الثاني :-

الفصل الأول :- مصادر التصوف .

الفصل الثاني :- كرامات الصوفية .

الفصل الثالث :- الجهاد عند الصوفية .

الفصل الرابع :- أقوال الصوفية .

الفصل الخامس :- موقف الصوفية واعتقاداتهم من العبادة والدين .

الفرع الأول :- عقيدة الصوفية في الإله عز وجل .

الفرع الثاني :- الحلول .

الفرع الثالث :- وحدة الوجود .

الفرع الرابع :- اعتقاد الصوفية في الرسول ﷺ .

الفصل السادس :- أبرز الشخصيات عند الصوفية .

بعض المراجع عن الصوفية

بعض الكتب التي ألفها علماء الإسلام من غير الصوفية .

عقيدة المسلم .

خاتمة .

الفهارس :-

فهرس الآيات القرآنية .

فهرس الأحاديث النبوية .

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .

ضوابط العبادة الصحيحة

إن العبادة التي شرعها الله - سبحانه وتعالى - تنبني على أصول وأسس ثابتة تتلخص فيما يلي :-

أولاً :- أنها توقيفية (بمعنى أنه لا مجال للرأي فيها) بل لابد أن يكون المشروع لها هو الله - سبحانه وتعالى - كما قال تعالى لنبيه :- (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا) (١)

وقال تعالى :- (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (٢)

وقال عن نبيه :- (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ) (٣)

ثانياً :- لابد أن تكون العبادة خالصة لله تعالى من شوائب الشرك ، كما قال تعالى :- (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (٤)

فإن خالط العبادة شيئ من الشرك أبطلها ، كما قال تعالى :- (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٥)

وقال تعالى :- (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ) (٦)

ثالثاً :- لابد أن يكون القدوة في العبادة والمبين لها رسول الله ﷺ ، كما قال تعالى :- (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (٧)

وقال تعالى :- (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) (٨)

---

(١) سورة هود :- ١١٢
(٢) سورة الجاثية :- ١٨
(٣) سورة الأحقاف :- ٩
(٤) سورة الكهف :- ١١٠
(٥) سورة الأنعام :- ٨٨
(٦) سورة الزمر :- ٦٥ - ٦٦
(٧) سورة الأحزاب :- ٢١
(٨) سورة الحشر :- ٧

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :- (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ) (١) وفي رواية (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ) (٢) وقال صلى الله عليه وسلم :- (صلوا كما رأيتموني أصلي) (٣) وقوله: (خذوا عني مناسككم) (٤) إلى غير ذلك من النصوص .

رابعًا :- أن العبادة محددة بمواقيت ومقادير، لا يجوز تعديها وتجاوزها، كالصلاة مثلاً :- قال تعالى :- (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) (٥) وكالحج قال تعالى :- (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ) (٦) وكالصيام، قال تعالى :- (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) (٧)

خامسًا :- لابد أن تكون العبادة قائمة على محبة الله تعالى والذل له، وخوفه ورجائه، قال تعالى :- (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) (٨) وقال تعالى عن أنبيائه :- (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (٩)
وقال تعالى :- (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) (١٠)

فتذكر - سبحانه - علامات محبة الله وثمراتها. أما علاماتها فاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وطاعة الله، وطاعة الرسول .
أما ثمراتها فنيل محبة الله - سبحانه - ومغفرة الذنوب والرحمة منه - سبحانه -

سادسًا :- أن العبادة لا تسقط عن المكلف من بلوغه عاقلاً إلى وفاته، قال الله تعالى :
(وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (١١)
وقال :- (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) (١٢)

---

(١) رواه مسلم .
(٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه مسلم .
(٥) سورة النساء :- ١٠٣ .
(٦) سورة البقرة :- ١٩٧ .
(٧) سورة البقرة :- ١٨٥ .
(٨) سورة الإسراء :- ٥٧ .
(٩) سورة الأنبياء :- ٩٠ .
(١٠) سورة آل عمران :- ٣١ - ٣٢ .
(١١) سورة آل عمران :- ١٠٢ .
(١٢) سورة الحجر :- ٩٩ .

تمهيد

الصوفية هي التي خرجت عن الحق إلى الغلو متأثرة بشتى الأفكار المنحرفة، التي هي في الواقع أفكار بدعية طرأت على المسلمين في غياب الوعي الإسلامي، وبروز الجهل وعلماء السوء المغرمين بالخرافات وحب الزعامة، وهي ذات مفاهيم خاطئة ومضطربة تأثرت بمسالك منحرفة، وبالغت فيها إلى حد الهوس والاضطراب الفكري الشنيع.

وكأن حافظ إبراهيم حينما ندب اللغة العربية بقوله :-

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مشكلة الألوان مختلفات .

كأنه عنى المذاهب الصوفي في انحرافها وتنوع مصادره، وتلفيق أفكاره من شتى المذاهب، ولقد جرأ أصحاب هذه الطريقة الصوفية على القول على الله بغير علم، كما كذبوا وأكثروا أيضا على رسوله صلى الله عليه وسلم لتقوية مبادئهم الكثيرة وتأييدها، وبالغوا في الكذب وزخرفة القول وتفننوا في الطرق والآراء، حتى ليخيل للشخص أنهم على شيء وهم في فراغ وجهل شديد.

وطرقوا مسائل ليست من الإسلام في شيء ولم يقل بها أحد من المسلمين، وأظهروا بزخرفهم أنها من الإسلام بما قدموه من تقليب الأدلة وإثارة الشبه والتفنن في الاستدلال والجواب، وقالوا بوحدة الوجود والحلول والاتحاد ووحدة الشهود، والكشف والقطب والغوث، وغير ذلك من الأمور التي طرقها كبار دعاتهم، مثل: الحلاج وابن عربي وابن الفارض والبسطامي والجيلي، وغيرهم ممن لبس عليهم إبليس فقالوا بوجود الله تعالى في كل شيء، حتى صار في عرف غلاتهم أن من لا يعتقد اتصاف الخلق بأوصاف الخالق لا يمكن أن يعد صوفياً ووليا من أولياء الله، كما ذكر الأستاذ إحسان إلهي ذلك عنهم.(1)

وهكذا أصبح المذهب الصوفي بعد أن لبس إبليس على أتباعه خليطا من شتى الأفكار.

(1) فرق معاصرة :- صفحة ٧١٤، ٧١٥، ج٢. ونقل الشيخ من كتاب (التصوف المنشأ والمصدر. صفحة ٢).

- والآراء المنحرفة، حيث يظهر فيها جلياً غلو الشيعة ومبادئ الباطنية وآراء المسيحية والهندوكية والبوذية، وغير ذلك من الديانات والفلسفات القديمة كالأفلاطونية والأفلوطينية وسائر ما قال به علماء اليونان. (١)

وقد قامت الدعوة الصوفية وإظهار شأنها من جديد في هذا العصر على نطاق واسع بسبب عوامل عدة :-

منها :- جهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم ثم الجهل بحقيقة الصوفية كذلك.

ومنها :- مساعدة أعداء الإسلام على نشر الصوفية، لأنهم يعرفون المكاسب التي سيجنونها ثمارها إذا عاد سلطان الصوفية وفشا الجهل وانتشرت الخرافات الصوفية وخزعبلاتها وتأثروا بآرائها السلبية في مفهوم الجهاد في سبيل الله وفي مفهوم وحدة الأديان التابعة لمفهوم وحدة الوجود.

وأعداء الإسلام هنا فريقان :-

فريق عداوته ظاهرة : وهم المستعمرون ومن يبيتون النية لهدم الإسلام وتشتيت كلمة المسلمين، وقد استفاد هؤلاء من أفكار الصوفية كثيراً حيث نام المسلمون على دعوى الزهد والإقبال على الآخرة بغير بينة، والتمسح بصور الأولياء وطلب البركة والنصر منهم في حياتهم وبعد موتهم أيضا، والعكوف على قبورهم.

وفريق آخر متلبسون باسم الدين ويحكمون كثيرا من ديار المسلمين، وهؤلاء ليساعدوا الصوفية خوفا من عودة الوعي الإسلامي السلفي الذي يصطدم مع ميول ورغبات هؤلاء وشهواتهم.

لأجل هذا ولغيره كان تنبيه طلاب العلم إلى خطر هذا المذهب الرديء واجبا يحتمه النصح لكل مسلم يجب حماية نفسه ودينه، من الانزلاق في خضم الأفكار المبثوثة بين صفوف المسلمين، والتي كان من نتيجتها زيادة الكوارث والخبال الذي حل بديار المسلمين حيث ابتعدوا عن المنهج الحق الذي شرعه الله لعباده.

ولقد فرح أعداء الإسلام بانتشار الصوفية التي مهدت لهم سبيل بدعوى الزهد والتقشف-

(١) فرق معاصرة :- ص :- ٧١٠، ج٢. ونقل الشيخ من كتاب (التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة)

- والابتعاد عن المظاهر وعن منازعة الحكام والرضى بأفعالهم، فعاش المسلمون على هامش الحياة بعد ان هدرت الصوفية أعصابهم بترهاتها وخزعبلاتها التي تنافي العقل السليم والدين الإسلامي الحنيف في كثير من مبادئها وطقوسها المختلفة ونظرتها إلى الحياة.

(١)

(١) فرق معاصرة :- صفحة :- ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ . (الجزء الثاني) .

الباب الأول

الفصل الأول:- تعريف التصوف.
الفصل الثاني:- بدء التصوف وظهوره.
الفصل الثالث:- مراتب الصوفية ومصطلحاتهم.
الفصل الرابع:- أقسام المتصوفة وطرقهم وأسمائهم.

الفصل الأول :- تعريف التصوف

اختلفت كلمة العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية والتصوف اختلافا كثيرا قلما يوجد له مثيل، وقد ذكر بعض العلماء أن تلك التعريفات قد تصل إلى الألفين، يقول محمد طاهر الحامدي :- (الأقوال المأثورة في التصوف قيل :- إنها زهاء ألفين)(١)، وقد نقل إحسان إلهي ظهير في كتابه :- (التصوف :المنشأ والمصدر) أقوالاً كثيرة عن أقطاب التصوف في تعريفهم ومفهومهم للتصوف(٢)، ولكن مهما قيل عن كثرتها واختلاف الناس فيها فإنها كلها لا طائل من ورائها عند التمعن في دراستها، مما يستدعي الحال غض النظر عن تلك التعريفات كلها، وإلقاء الضوء على الأقرب منها، وفيما يلي بيان ذلك .

(١) في اللغة :-

يطلق علماء اللغة كلمة (صوف) في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) على عدة معان، منها إطلاق كلمة صوف على الصوف المعروف من شعر الحيوانات، ومنها صوفان وصوفانة وتطلق على بقلة زغباء قصيرة . وقد أطلقت كلمة (صوف) في بعض دلالتها بمعنى الميل، فيقال صاف السهم عن الهدف بمعنى مال عنه، وصاف عن الشيء أي عدل عنه(٣)

(٢) في الاصطلاح :-

يجب إدراك أن الصوفية مرت بمراحل وتطورات ومفاهيم مختلفة، ومن هنا وقع كثير من الجدل بين العلماء في التعريف بالصوفية، ومهما قيل عن كثرة التعريفات للتصوف، فإنه يصدق عليه عموماً أنه بدعة محدثة في الدين وطرائق ما أنزل الله بها من سلطان .

وسنذكر فيما يلي بعض التعريفات التي أطلقت على مفهوم التصوف سواء، كانت من الصوفية أو من مخالفيهم، ومن ذلك ما يلي :-

(١) التصوف هو تجريد العمل لله تعالى، والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهوة، والميل

---

(١) فوق معاصرة :- ص :- ٧١٧، ونقل الشيخ من كتاب (التصوف المنشأ والمصدر، ص :- ٣٧) .
(٢) فوق معاصرة :- ص :- ٧١٧، ونقل الشيخ من كتاب (التصوف المنشأ والمصدر، ص :- ٣٦ - ٤١) .
(٣) فوق معاصرة : ص :- ٧١٧، ونقل الشيخ من معاجم اللغة في مادة (صوف) .

- إلى التواضع والخمول ، وإماتة الشهوات في النفس .
وهذا التعريف لا يصدق في الواقع إلا على التصوف في عهده الأول ، الذي كان التصوف فيه عبارة عن الانقطاع لعبادة الله وحده ، والزهد في الدنيا والتخفيف من متاعها والإقبال على الآخرة ، دون أن يلبسوا ذلك بشيئ من الأفكار والسلوك المشين الذي وصلت إليه الصوفية بعد ذلك .

(٢) وذهب قسم كثير من العلماء إلى أن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم - أي (الصوفية) - إنما كان نسبة إلى لبسهم الصوف الذي عبر عن الزهد والتقشف وترك التنعم والملذات المباحة ، وقد علق القشيري على هذا بقوله :- (فذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف .)

(٣) وبعض العلماء يرى أن التصوف مأخوذ عن الصفاء ، أي صفاء أسرارهم أو صفاء قلوبهم أو صفاء معاملتهم لله تعالى ، وهو ما يجب الصوفيون التسمي به ، بل إن كل انتساب فيما لاحظ (نيكلسون) إلى الصوف يقابله اثنا عشر تعريفا تعتمد على الصفاء ، الذي حاول الصوفية أن ينتسبوا إليه (١) إلا أن القشيري قد استبعد هذا المفهوم في اللغة بقوله :- (ومن قال أنه مشتق من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة) (٢)

(٤) وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصفة التي كان يجلس فيها فقراء الصحابة رضوان الله عليهم في المسجد ، ويرى القشيري أن النسبة إلى الصفة لا تجيئ على نحو الصوفي . (٣)

(٥) وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصف الأول ، قال القشيري :- (فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف . (٤)

(٦) وبعضهم يرى أنه نسبة إلى قبيلة بني صوفة وهي قبيلة بدوية كانت حول البيت في الجاهلية ، وهي تنتسب إلى رجل يقال له صوفة كان قد انقطع للعبادة في المسجد الحرام

(١) فرق معاصرة :- ص :- ٧١٩ ، ٢ونقل الشيخ من كتاب (دراسات في الفرق . ص :- ٩٨) .
(٢) فرق معاصرة :- ص :- ٧١٩ ، ٢ونقل الشيخ من (الرسالة القشيري . ج ٢ ص :- ٥٥٠) .
(٣) فرق معاصرة :- ص :- ٧١٩ ، ٢ونقل الشيخ من (المصدر السابق) .
(٤) فرق معاصرة :- ص :- ٧١٩ ، ٢ونقل الشيخ من (المصدر نفسه) .

(٧) وبعضهم يرى أنها نسبة إلى الصفوة من خلق الله .

وهناك تعريفات كثيرة خاض فيها العلماء باجتهاداتهم بعضها من وضع أقطاب التصوف وبعضها من غيرهم لا يهمنا سردها هنا بالتفصيل والدراسة الشاملة لها كلها .(١) ، إذ الغرض إنما هو التنبيه إلى ما وقع من اختلاف في التعريف بهم، ولما كانت كل تلك التعريفات أموراً اجتهادية واستحسانات وتقريباً لهذا المذهب ، فإنك تجد أنه يرد عليها اعتراضات كثيرة ، وفي بعضها أخطاء واضحة .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ردود على بعض تلك التعريفات ، فقد ذكر أنه إذا كانت النسبة إلى أهل الصفة - وهو خطأ تاريخي كما سنبين - ذلك - فإنه يقال صُفِّي ، وأما إذا كانت إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى فإنه يقال صَفِّي ، وأما إذا كانت نسبة إلى الصفوة من خلق الله فإنه يقال صَفَوِيٌّ ، وأما إذا كانت النسبة إذا ذلك الرجل الجاهلي فإنه لا أحد من المتصوفة يرضى أن ينسب إلى قبيلة جاهلية قبل الإسلام، إضافة إلى أنه لم تعرف هذه التسمية بين الصحابة ولا كانت هذه القبيلة مشهورة أيضا (٢)

وقد زعم كاتب نصراني هو (جورجي زيدان) (أن كلمة تصوف في العربية تعادلها كلمة (سوفيا) اليونانية والتي معناها الحكمة) (٣) ، أي أن التصوف نسبة إلى الحكمة اليونانية ، وهو زعم أبطله كثير من العلماء ، وربما لأن التصوف إنما ظهر بعد الإسلام ولا يمنع هذا أن تتأثر الصوفية بعد ذلك بشتى التأثيرات بل هو الواقع ، ولكن ليس بالمفهوم اليوناني بالكامل .

وهذا وبنسبة التصوف إلى الصوف أقرب إلى الاشتقاق اللغوي كما أنه أقرب كذلك إلى ذوق الصوفية وحالهم في تمسكهم بلباس الصوف ، وقد ذهب إلى تقرير هذا القول كثير من العلماء في نسبتهم لهذه الطائفة التي لم توجد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، إذ لو وجدت في هذه الأزمنة وعرفها الناس وعرفوا

(١) فرق معاصرة :- ص :- ٧١٩ ، (الجزء الثاني) ، ونقل الشيخ من (الرسالة القشيرية :- ص :- ٥٥٠ ، (الجزء الأول) ، ومن (الصوفية معتقداً ومسلكاً ص :- ١٩-٣٩) ، ومن (الصوفية المنشأ والمصدر :- ص :- ٢٠-٣٩)

(٢) فرق معاصرة :- ص :- ٧٢٠ ، ج :- ٢ ، ونقل الشيخ من كتاب (الصوفية والفقراء ، لشيخ الإسلام :- ص :- ١٣-١٤)

(٣) فرق معاصرة :- ص :- ٧٢٠ ، ج :- ٢ ، ونقل الشيخ من كتاب (الصوفية معتقدا ومسلكا :- ص :- ٢٣) .

مسالكها لما اشتهرت تسميتها، ولما حصل لبس أو خلاف في حقيقتها واتجاهاتها بين المتأخرين.

وقد رجح شيخ الإسلام فيما يظهر في كلامه أن التصوف نسبة إلى الصوف حيث قال: (وقيل وهو المعروف -: أنه نسبة إلى لبس الصوف).

ثم علل ذلك بقوله: -(فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية لبعض أصحاب عبد الواحد بن زيد، وعبد الواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية.) (١)

وأيد السهروردي صحة القول بنسبة الصوفية إلى الصوف، وذكر أدلة كثيرة على فضائل لبس الصوف، وبالغ في مدح الصوفية حين اختاروا هذا الاسم بما يطول نقله.

ثم ذكر الأسماء الأخرى والتي منها نسبتهم إلى أهل الصفة من الفقراء الصحابة المهاجرين ثم قال: -

(وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعنى، لأن الصوفية يشاكلون حالهم حال أولئك). (٢)

التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية: الهندية والفارسية واليونانية المختلفة. ويلاحظ أن هناك فروقا جوهرية بين مفهومي الزهد والتصوف أهمها: - أن الزهد مأمور به، والتصوف منهج عن طريق الحق الذي اختطه أهل السنة والجماعة. (٣)

---

(١) فرق معاصرة: - ص: - ٧٢١، ج٢، ونقل الشيخ من كتاب (الصوفية والفقراء. ص: - 10).

(٢) فرق معاصرة: - ص: - ٧٢١، ج٢، ونقل الشيخ من كتاب (عوارف المعارف. ص ٤٥ - ٤٩).

(٣) موقع الخيمة.

الفصل الثاني :- بدء التصوف وظهوره

إن الناس اختلفوا في بدء ظهور هذه الكلمة واستعمالها كاختلافهم في تعريفه، فذكر ابن تيمية وسبقه ابن الجوزي وابن خلدون في هذا أن لفظ الصوفية لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة الأولى، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل، وأبي سليمان الداراني وغيرهما، وقد روى عن سفيان الثوري أنه تكلم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري. (1)

وقال السراج الطوسي في الباب الذي خصصه للرد على من قال :- لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم مستحدث : يقول في هذا الباب :-

(إن سأل سائل فقال :- لم نسمع بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين ولا فيمن كان بعدهم، ولا نعرف إلا العبّاد والزهّاد والسيّاحين والفقراء، وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :- صوفي، فنقول وبالله التوفيق.

الصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لها حرمة، وتخصيص من شملهن ذلك، فلا يجوز أن يطلق عليهن اسم على أنه أشرف من الصحبة، وذلك لشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمته ألا ترى أنهم أئمة الزهاد والعبّاد والمتوكلين والفقراء والراضين والصابرين والمحبتين، وغير ذلك، وما نالوا جميع ما نالوا إلا ببركة الصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما نسبوا إلى الصحبة والتي هي أجلّ الأحوال استحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصحبة التي هي أجلّ الأحوال وبالله التوفيق.

وأما قول القائل :- إنه اسم محدث أحدثه البغداديون، فمحال، لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله كان يعرف هذا الاسم، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، وقد روي عنه أنه قال :- رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال :- محي أربعة دوانيق يكفيني ما معي.

(1) التصوف المنشأ والمصدر :- ص :- ٥٤، ونقل الشيخ من كتاب (الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ابن تيمية :- ص :- ٥ ط القاهرة، أيضا مقدمة ابن خلدون. ص :- ٤٦٧، تلبيس إبليس لابن الجوزي : ص ١٥٧ ط - دار القلم بيروت لبنان.

وروي عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء، وقد ذكر في الكتاب الذي جمع فيه أخبار مكة عن محمد بن اسحاق بن يسار، وعن غيره يذكر فيه حديثا:- أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات، حتى كان لا يطوف بالبيت أحد، وكان يجيئ من بلد بعيد رجل صوفيّ فيطوف بالبيت وينصرف، فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الإسم، وكان يُنسب إليه أهل الفضل والصلاح، والله أعلم). (١)

وبمثل ذلك قال السهروردي: (وهذا الإسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل:- كان في زمن التابعين - ثم نقل عن الحسن البصري ما نقلناه عن الطوسي أيضا - ثم قال:- وقيل:- لم يعرف هذا الإسم إلى المائتين من الهجرة العربية). (٢)

وصرح عبد الرحمن الجامي:-

(إن أبا هاشم الكوفي أول من دعي بالصوفي، ولم يسمّ أحد قبله بهذا الإسم، كما أن أول خانقاه بني للصوفية هو ذلك الذي في رملة الشام، والسبب في ذلك أن الأمير النصراني كان قد ذهب للقنص فشاهد شخصين من هذه الطائفة الصوفية سنح له لقاؤهما وقد اعتضن أحدهما الآخر وجلسا هناك، وتناولا معاكل ما كان معهما من طعام، ثم سارا لشأنهما، فسرّ الأمير النصراني من معاملتهما وأخلاقهما، فاستدعى أحدهما، وقال له:- من هو ذاك؟ قال:- لا أعرفه، قال:- وما صلتك به؟ قال:- لا شيئ. قال:- فمن كان؟ قال لا أدري، فقال الأمير:- فما هذه الألفة التي كانت بينكما؟ فقال الدرويش:- إن هذه طريقتنا، قال:- هل لكم من مكان تأوون إليه؟ قال:- لا، قال:- فإني أقيم لكما منحلا تأويان إليه، فبنى لهما هذه الخانقاه في الرملة). (٣)

وأما القشيري:-

اشتهر هذا الإسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة. (٤)

---

(١) التصوف المنشأ والمصدر:- ص٤١، ونقل الشيخ من كتاب (اللمع للطوسي:- ص:- ٤٢-٤٣، أيضا الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني:- ص:- ٥٣ ط عالم الفكر القاهرة).

(٢) التصوف المنشأ والمصدر:- ص٤١، ونقل الشيخ من كتاب (عوارف المعارف. للسهروردي:- ص:- ٦٣).

(٣) التصوف المنشأ والمصدر:- ص٤١، ونقل الشيخ من (نفحات الأنس للجامي. الطبعة الفارسية ص٣١، ٣٢ ط إيران).

(٤) التصوف المنشأ والمصدر:- ص٤٢، ونقل الشيخ من (الرسالة القشيري ج:- ١، ص٥٣ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود الشريف، أيضا جمهرة الأولياء للمنوفي العسيني ج:- ١، ص:- ٢٦٩ ط مؤسسة الحلبي - القاهرة).

وأما الهجويري فلقد ذكر أن التصوف كان موجودا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وباسمه، واستدل بحديث موضوع مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من سمع صوت أهل التصوف فلا يؤمن على دعائهم كتب عند الله من الغافلين)

مع أنه نفس كتب في نفس الباب في آخره شارحا كلام أبي الحسن البوشنجي (التصوف اليوم اسم بلا حقيقة، وقد كان من قبل حقيقة بلا اسم)، مكتب تحته موضحا:-

(يعني أن هذا الاسم لم يكن موجودا وقت الصحابة والسلف، وكان المعنى موجودا في كل منهم، والآن يوجد الاسم، ولا يوجد المعنى).(١)

وأما المستشرقون الذين كتبوا عن التصوف، ويعدّون من موالي الصوفية وأنصارهم، فمنهم نيكلسون فانه يرى مثل ما يراه الجامي أن لفظة التصوف أطلقت أول ما أطلقت على أبي هاشم الكوفي المتوفى سنة ١٥٠ هـ.

ولكن المستشرق الفرنسي المشهور ما سينيون يرى غير ذلك، فيقول:- ورد لفظ الصوفي لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي إذ نعت به جابر بن حيان، وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل كوفة، لا في الزهد مذهب خاص، وأبو هاشم الكوفي الصوفي المشهور.

أما صيغة الجمع (الصوفية) التي ظهرت عام ١٨٩ هـ (٨١٤ م) في خبر فتنة قامت بالإسكندرية فكانت تدل قرابة ذلك العهد على مذهب من مذاهب التصوف الإسلامي يكاد يكون شيعيا نشأ في الكوفة، وكان عبدك الصوفي آخر أئمتهم، وهو من القائلين بأن الإمامة بالإرث والتعيين، وكان لا يأكل اللحم، وتوفي ببغداد موالي عام ٢١٠ هـ.

وإذن فكلمة صوفي كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة.

وقال أيضا:-

صاحب نزلة ببغداد، وهو أول من لقب بالصوفي، وكان هذا اللفظ يومئذ يدل على بعض زهاد الشيعة بالكوفة، وعلى رهط من الثائرين بالإسكندرية، وقد يعدّ من الزنادقة بسبب امتناعه عن أكل اللحم، ويريد الإستاذ أول من لقب بالصوفي - في بغداد كما يؤخذ مما نقله عن الهمذاني، ونصه:-

ولم يكن السالكون لطريق الله في الأعصار السالفة والقرون الأولى يعرفون باسم المتصوفة، وإنما الصوفي لفظ اشتهر في القرن الثالث، وأول من سمي ببغداد بهذا الاسم عبدك الصوفي، وهو-

(١) التصوف المنشأ والمصدر:- ص:-٤٢، ونقل الشيخ من (كشف المحجوب نفسه. ص:-٢٣٩).

من كبار المشائخ وقدمائهم، وكان قبل بشر بن الحارث الحافي والسري بن المفلس السقطي.(١)

والجدير بالذكر أن هؤلاء الثلاثة الذين يقال عنهم بأنهم أول من سمّوا بهذا الاسم، وتلقبوا بهذا اللقب مطعونون في مذاهبهم وعقائدهم، ورمي كل واحد منهم بالفسق والفجور وحتى الزندقة، وخاصة جابر بن حيان، وعبدك كما سيأتي ذلك مفصلا في محلّه من الكتاب إن شاء الله.

وقد سبق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال:- (إن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك) (٢)

وبمثل ذلك قال ابن خلدون. (٣)

فخلاصة الكلام أن الجميع متفقون على حداثة هذا الاسم، وعدم وجوده في عهد رسول الله ﷺ وأصحابه والسلف الصالحين.

نعم، كان رسول الله ﷺ أزهد خلق الله في الدنيا وزخرفها، وأصحابه على سيرته وطريقته، يعدّون الدنيا وما فيها لهوا ولعبا، زائلة فانية، والأموال والأولاد فتنة ابتلى المؤمنون بها، فلم يكونوا يجعلون أكبر همهم إلا ابتغاء مرضاة الله، يرجون لقاءه وثوابه، ويخافون غضبه وعقابه. آخذين من الدنيا ما أباح الله لهم أخذه، ومجتنبين عنها ما نهى الله عنه، سالكين مسلك الاعتدال، منتهجين منهج المقتصد، غير باغين ولا عادين، مفرطين ولا متطرفين، وعلى رأسهم بعد رسول الله ﷺ الخلفاء الراشدون، وبقية العشرة المبشرة، ثم البدريون، ثم أصحاب بيعة الرضوان، ثم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ثم عامة الأصحاب على ترتيب الأفضلية.

وتبعهم في ذلك التابعون لهم باحسان، واتباع التابعين، أصحاب خير القرون، المشهود لهم بالخير والفضيلة، ولم يكن لهؤلاء كلهم في غير رسول الله أسوة ولا قدوة، الذي قال فيه جل وعلا:-

(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (٤).

---

(١) التصوف المنشأ والمصدر: ص:- ٤٢-٤٣.

(٢) التصوف المنشأ والمصدر:- ص ٤٣، ونقل الشيخ من (الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ابن تيمية: ص:- ٥).

(٣) المصدر السابق:- ص:- ٤٣، ونقل الشيخ من (مقدمة ابن خلدون: ص:- ٤٧٦).

(٤) سورة الضحى من الآية ٦ إلى آخر السورة.

والذي إذا وجد طعاما فأكل وشكر، وإذا لم يجد فرضي وصبر، وأحبّ لبس الثياب البيض، واكتسب جبّة رومية، ونهى عن التصدق بأكثر من ثلث المال، وأمر بحفظ حقيق النفس والأهل والولد، ونهى عن تعذيب النفس واتعاب الجسد فوق الطاقة، وكما أنه نهى هو نفسه عن قيام الليل كله، لإراحة الجسد والبدن، وحرّض متبعيه على طلب الحلال، وطلب الحسنات في الدنيا والآخرة، ومنع الله تعالى من التعنت والتطرف في ترك الدنيا وطيباتها في آيات كثيرة في القرآن الكريم، سنوردها في موضعها من الكلام إن شاء الله.

ثم خلف من بعدهم خلف فتطرفوا، وذهبوا بعيدا في نعيم الدنيا وزخارفها، وفتحت عليهم أبواب الترف والرخاء، ودرّت عليهم الأرض والسماء، وأقبلت عليهم الدنيا بكنوزها وخزائنها، وفتحت عليهم الآفاق، فانغمسوا في زخارفها وملذاتها، وبخاصة العرب الفاتحون الغزاة، والغالبون الظاهرون، فحصل ردّ الفعل، وفي نفوس المغلوبين المخزونين والمقهورين، من الموالي والفرس والمفلسين وأصحاب النفوس الضعيفة المتوانية خاصة، فهربوا عن الحياة ومناضلتها، وجدّها وكدّها، ولجأوا إلى الخانقاوات والتكايا والزوايا والرباطات، فرارا من المبارزة والمناضلة، وصبغوا هذا الفرار والانهزام وردّ الفعل صبغة دينية، ولون قداسة وطهارة، وتنزه وقرابة، كما كان هنالك أسباب ودوافع ومؤثرات أخرى، وكذلك أيدي خفية دفعتهم إلى تكوين فلسفة جديدة للحياة، وطراز آخر من المشرب والمسلك، وأسلوب جديد للعيش والمعاش، فظهر التصوف بصورة مذهب مخصوص، وبطائفة مخصوصة اعتنقت قوم، وسلكه أشخاص ساذجون بدون تفكير كثير، وتدبر عميق كمسالك الزهد ووسيلة التقرب إلى الله، غير عارفين بالأسس التي قام عليها هذا المشرب، والقواعد التي أسس عليها هذا المذهب، بسذاجة فطرية، وطيبة طبيعية، كما تستر بقناعه، وتنقب بنقابه بعض آخرون لهدم الإسلام وكيانه، وإدخال اليهودية والمسيحية في الإسلام، وأفكارهما من جانب، والزرادشتية والمجوسية والشعوبية من جانب آخر، وكذلك الهندوكية والبوذية والفلسفة اليونانية الأفلاطونية من ناحية أخرى، وتقويض أركان الإسلام وإلغاء تعاليم سيد الرسل صلى الله عليه وسلم، ونسخ الإسلام وإبطال شريعته بنعرة وحدة الوجود، ووحدة الأديان، وإجراء النبوة، وترجيح من يسعى بالولي على أنبياء الله ورسله، ومخالفة العلم والتفريق بين الشريعة والحقيقة، وترويج الحكايات والأباطيل والأساطير، باسم الكرامات والخوارق وغير ذلك من الخرافات والترهات.

فلم يظهر التصوف مذهبا ومشربا، ولم يرج مصطلحاته الخاصة به، وكتبه، وهواجيده وأناشيده، تعاليمه وضوابطه، أصوله وقواعده، وفلسفته، ورجاله وأصحابه إلا في-

-القرن الثالث من الهجرة وما بعده .

وبذلك يقول ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس :-

(كانت النسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والإسلام : - فيقال :- مسلم ومؤمن ، ثم حدث إسم زاهد وعابد . ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد ، فتخلوا عن الدنيا ، وانقطعوا إلى العبادة ، واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها ، وأخلاقا تخلقوا بها ثم قال :- وهذا الإسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ، ولما أظهروا أوائلهم تكلموا فيه ، وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة ، وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ، ومجاهدة الطبع بردّه عن الأخلاق الرذيلة ، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى .....

وعلى هذا كان أوائل القوم ، فلبّس عليهم ابليس في أشياء ، ثم لبس على بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طحمس في القرن التالي فزاد تلبيس عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن .

وكان أصل تلبيس عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطلق مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات . فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم . وشبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة . وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري .

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي . وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة . ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم . ويتسفل بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو في العلوم حتى سموا العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر . ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به . وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق . ففسدت عقائدهم . فمنهم هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد . وما زال ابليس يخاطبهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننا وجاء أبو عبد الرحمن السلمي فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير

فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم. وإنما حملوه على مذاهبهم. والعجب من روعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن. وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز. قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري قال كان أبو عبد الرحمن السلمي غير ثقة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبد الله بن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه. وكان يضع للصوفية الأحاديث.

وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى. وصنف لهم أبو طالب المكي قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه من أصل من حلوات الأيام والليالي وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد. وورد فيه القول - قال بعض المكاشفة - وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية إن الله عز وجل يتجلى في الدنيا لأوليائه. أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: - قال أبو طاهر محمد بن العلاف. قال: - دخل أبو طالب المكي إلى البصرة بعد وفاة أبي الحسين بن سالم فانتهى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ فخلط في كلامه فحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوق أضر من الخالق. فنبذ عن الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب. وصنف أبو طالب المكي كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة في الصفات.

وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية. وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضي الله عنهم. فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحا القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وكذلك ذكر السلمي في طبقات الصوفية الفضيل وإبراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخي وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد.

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما. أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ما سيأتي ذكره وصنف لهم عبد الكريم بن هوازن القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء. والبقاء. والقبض. والبسط. والوقت والحال والوجد. والوجود. والجمع. والتفرقة، والصحو. والسكر. والذوق. والشرب. والمحو والإثبات. والتجلي. والمحاضرة. والمكاشفة. واللوائح. والطوالع. واللوامع. والتكوين -

والتمكين، والشريعة، والحقيقة. إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيئ وتفسيره أعجب منه، وجاء محمد بن طاهر المقدسي فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها.

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول: كان ابن طاهر يذهب مذهب الإباحة!- وصنف كتابا في جواز النظر إلى المرد أورد فيه حكاية عن يحيى بن معين قال!- رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها، وعلى كل مليح. قال شيخنا ابن ناصر وليس ابن طاهر ممن يحتج به، وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الاحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه. وقال أن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطلة. وقال في كتابه المفصح بالأحوال! إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء. ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق نطاق النطق)(١)

(١) التصوف المنشأ والمصدر: ص:- من ٤٠ إلى ٤١.

الفصل الثالث :- مراتب الصوفية ومصطلحاتهم

أما مراتب الصوفية ، التي وضعوها لبيان طبقات المتصوفة مكانتهم ، وقدرتهم واختيارهم على الخلق ، وأعدادهم ، وهم حسب كلام لسان الدين بن الخطيب :- (خواص الله في أرضه ، ورحمة الله في بلاده على عباده :- الأبدال ، والأقطاب ، والأوتاد ، والخرفاء ، والنجباء ، والنقباء ، وسيدهم الغوث) (١) (والملامتية والأفراد) (٢)

ولد الهجويري هم :- (أهل الحل والعقد ، وقادة حضرة الحق جل جلاله ، فثلاثمائة يسمون الأخيار ، وأربعون آخرون يسمون الأبدال ، وسبعة آخرون يقال لهم :- الأبراء وأربعة يسمون الأوتاد ، وثلاثة آخرون يقال لهم :- النقباء ، وواحد يسمى القطب والغوث .
وهؤلاء جميعا يعرفون أحدهم الآخر ، ويحتاجون في الأمور الأذن بعضهم البعض) .

ومثل ذلك ذكرهم الجرجاني في تعريفاته :-
القطب ، وهو الغوث :- عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ومكان ، وهو على قلب اسرائيل عليه السلام . (٣)
وقال الشيخ غالب بن علي عواجي في كتابه (فرق معاصرة) :- الأقطاب السبعة لحفظ القارات السبع ، والقطب هو الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان . والقطبانية الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب ، وهو باطن النبوة للرسول صلى الله عليه وسلم . والغوث الأكبر وهو أكبر الأولياء والأقطاب ، وهو ذات الحق باعتبار تجريدها من الاسم والصفة والقطب الكبير عند الصوفية وهو القشيري . (٤)

الإمامان :- هما شخصان ، أحدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت ، والآخر عن يساره ونظره في الملك ، وهو أعلى من صاحبه ، وهو الذي يخلف الغوث .

---

(١) التصوف المنشأ والمصدر : ص :- ٢٣١ .
(٢) فرق معاصرة :- ص :- ٨٦٩ ، الجزء الثاني .
(٣) المصدر السابق :- ص :- ٢٣١ .
(٤) فرق معاصرة :- ص :- ٨٦٧ - ٨٧٠ ، الجزء الثاني .

الأوتاد :- عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم :- شرق وغرب وشمال وجنوب ، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة.(١) وهم حفظة العالم كل واحد منهم في ركن من أركان العالم، وهو على قدم بدل من الأبدال ، أي أقل رتبة من الأبدال ، لأن الأبدال يكونون على قدم قطب من الأقطاب .(٢)

البدلاء :- هم سبعة ، وهم سافر من القوم عن موضعه وترك جسدا على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد ، فذلك هو البدل لا غير ، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام.(٣) والأبدال زعموا أنهم أربعون وهم مكلفون بحفظ العالم والكون وقد عرفهم المناوي بأنهم :-(أبدال الأقطاب من الأولياء ، فإن مات قطب أحل الله محله بدلاً منه ، ومنهم الخلفاء الأربعة .)(٤)

النجباء :- أربعون ، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يتصرفون إلا في حق الغير(٥) وهم الأربعون القائمون بإصلاح شئون السالكين .(٦)

النقباء :- هم الذين استخرجوا خبايا النفوس ، وهم ثلاثمائة . وهذا الترتيب مأخوذ عن ابن عربي في فتوحاته كما قال :-(والمجمع عليه من أهل الطريق أنهم على ست طبقات أمهات :- أقطاب ، وأئمة ، وأوتاد ، وأبدال ، ونقباء ، ونجباء) .
ومثل ذلك ورد في (الوصية الكبرى) لشيخ العروسية عبد السلام الفيتوري . وفي (جامع الأصول في الأولياء) للكمشخانوي . وفي (طبقات السالمي) للسالمي .(٧)
وقال الشيخ غالب بن علي عواجي في كتابه (فرق معاصرة) مرتبتين غير ما سبق . وكلتاهما :-

الملامتية :- وهم الذين لا يظهرون للخلق أعمالاً وأسرارًا ، بل يخفون أسرارهم لكمال ذوقهم وقوة شهودهم لربهم .

الأفراد :- وهم المفردون والغرباء لتفردهم عن الخلق بشهود الحق ، وغربتهم في أهل زمانهم ، وهم غير منحصرين في رتبة أو منزلة ، ولهم كشف خاص وعلوم إلهية غريبة .

---

(١) المصدر السابق :- ص:- ٢٣١ .
(٢) فرق معاصرة :- ص:- ١٧٠ ، ج:- ٢ .
(٣) المصدر السابق :- ص:- ٢٣١ .
(٤) فرق معاصرة :- ص:- ١٧٠ ، ج:- ٢ .
(٥) المصدر السابق :- ص:- ٢٣٢ .
(٦) فرق معاصرة :- ص:- ١٦٩ - ١٧٠ ، ج:- ٢ .
(٧) المصدر السابق :- ص:- ٢٣٢ .

- على الناس ... وهم على قدم النبي صلى الله عليه وسلم . (١)

ولا بأس هنا أن نورد عبارة داود بن محمود القيصري هنا، لما فيها من زيادة توضيح لهذا الأمر، فيقول :-

ولهم مرتب :- الأولى مرتبة القطبية، ولا يكون فيها أبدًا إلا واحد بعد واحد . ويسمى غوثًا، لكونه مغيثًا للخلق في أحوالهم . ثم مرتبة الإمامين، وهما كالوزيرين للسلطان . أحدهما صاحب اليمين، وهو المتصرف بإذن القطب في عالم الملكوت والغيب، وثانيهما صاحب اليسار، وهو المتصرف في عالم الملك والشهادة، وعند ارتحال القطب إلى الآخرة، لا يقوم مقامه، منهما، إلا صاحب اليسار، لكونه أكمل في السير من صاحب اليمين؛ لأنه، بَعْدُ، ما نزل في السير من عالم الملكوت إلى عالم الملك، وصاحب اليسار نزل إليه، وكملت دائرته في السير والوجود . ثم مرتبة الأربعة، كالأربعة من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين ! ثم مرتبة البدلاء السبعة، الحافظين للأقاليم السبعة . وكل منهم قطب الأقليم الخاص به . ثم مراتب الأولياء العشرة، كالعشرة المبشرة . ثم مراتب الاثني عشر، الحاكمين على البروج الاثني عشر، وما يتعلق بها ويلزمها من حوادث الأركان، ثم العشرين والأربعون والتسعة والتسعين، مظاهر الأسماء الحسنى، إلى الثلاثمائة والستين .

وهؤلاء قايمون في العالم على سبيل البدل، في كل زمان، لا يزيد عددهم ولا ينقص إلى يوم القيامة . وغيرهم من الأولياء يزيدون وينقصون، بحسب ظهور التجلي الإلهي وخفائه، وبعدهم : مرتبة الزهاد والعبّاد والعلماء من المؤمنين، الكائنين في كل زمان إلى يوم الدين، وجميع هؤلاء المذكورين داخلون في حكم القطب .

(والأفراد الكمّل، الذين تعادل مرتبتهم مرتبة القطب إلا في الخلافة، هم الخارجون عن حكمه . فانهم يأخذون من الله، سبحانه، ما يأخذون من المعاني والأسرار الإلهية بخلاف الداخلون في حكمه، فانهم لا يأخذون شيئًا إلا منه) .

وقد ذكرهم المستشرق الفرنساوي ما سينيون بقوله :-

(ويزعم الصوفية أن العالم يدوم بقاؤه بفضل تدخل طبقة من الأولياء المستورين عددهم محدود، وكلما قبض منهم واحد خلفه غيره، ورجال الغيب هم : ثلاثمائة من النقباء، وأربعون من الأبدال، وسبعة أمناء، وأربعة عمد، ثم القطب، وهو الغوث) .

(١) فرق معاصرة :- ص :- ١٦٩ - ١٧٠، ج :- ٢ .

فهذه المراتب والترتيب والأعداد لم يأخذها المتصوفة إلا من الشيعة أيضا، وخاصة من الشيعة الإسماعيلية والنصيرية كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في رسائله وفتاواه :-

وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة، والأوتاد الأربعة، والأقطاب السبعة، والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمائة، فهذه الأسماء ليست موجودة في كتاب الله، ولا هي أيضا مأثورة عن النبي ﷺ لا بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل، إلا لفظ الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال :- إن فيهم يعني أهل الشام - الأبدال الأربعون رجلا، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا :- ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب. وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الإيمان إلا به، ثم مع هذا يقولون : إنه كان صبيا دخل السرداب من أكثر من أربعمائة وأربعين سنة، ولا يعرف له عين ولا أثر، ولا يدرك له حس ولا خبر.

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم معناها للرافضة من بعض الوجوه، بل هذا الترتيب والاعتداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس والحق وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان.

وبذلك قال ابن خلدون في هذا الخصوص، والمسائل الأخرى التي ذكرناها بأن المتصوفة أخذوها من التشيع، فيقول :-

(إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملأوا الصحف منه مثل السهروردي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذها ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم وكان سلفهم من الطبقة الإسماعيلية المتأخرين من الرافضة القائلين أيضا بالحلول والإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم فاشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهما وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب الإشارات في فضول التصوف منها فقال جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وإنما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا -

- ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قالت الشيعة في النقباء) .

هذا وقد أقر بذلك أحمد أمين المصري ، فكتب :- (أن الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالا وثيقا ، وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي ، وصاغتها صياغة جديدة وسمتها (قطبا) ، وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح ، وعلى رأس هذه المملكة الروحية القطب ، وهو نظير الإمام أو المهدي في التشيع ، والقطب هو الذي (يدبر الأمر في كل عصر ، وهو عماد السماء ، ولولاه لوقعت على الأرض) ، ويلي القطب النجباء ، قال ابن عربي في الفتوحات المكية : (وهم اثنا عشر نقيبا في كل زمان ، لا يزيدون ولا ينقصون ، على عدد بروج الفلك الاثني عشر ، كل نقيب عالم بخاصية كل برج وبما أودع الله تعالى في مقامه من الأسرار والتأثيرات .... واعلم أن الله تعالى قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة ، ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها ، ومعرفة مكرهات وخداعها ، وإبليس مكشوف عندهم ، يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه ، وهم من العلم بحيث إذا رأى أحدهم وطأة شخص في الأرض علم أنها وطأة سعيد أو شقي مثل العلماء بالآثار والقيافة) .

ولا بأس من إيراد عبارة عن القاضي الإسماعيلي النعمان بن محمد المغربي ، ذكر فيها أصحاب المراتب العليا ، فيقول :-
(والحدود السفلية هم : الأسس ، الأئمة ، والحجج ، والنقباء ، والأجنحة)
ومثل ذلك ذكر الداعي الإسماعيلي حميد الدين الكرماني في كتابه راحة العقل .
وإبراهيم بن حسين الحامدي . (١)

وتكلم الصوفيون عن الولاية ، وتطلق كلمة " ولاية " في اللغة العربية على عدة معان منها التابع ، المحب والصديق والناصر .

أما معناها في مفهوم الصوفية فهي تنتهي أخيرا في مذهب وحدة الوجود ، فقد عرفها المنوفي تحت عنوان (أولياء الله) بقوله : (اعلم أن الولاية عبارة عن تولي الحق سبحانه وتعالى عبده بظهور أسمائه وصفاته عليه علما وعينا وحالا وأثرا لذة وتصرفا) ، ثم زاد الأمر وضوحا حينما بين التجليات الإلهية والفيوضات التي تقع على السالك وأفعاله وأفعال كل المخلوقات ثم (لا يرى في نظره غير فعل الفاعل الحقيقي وهو الله .) .

(١) المصدر السابق :- ص :- ٢٣٢ - ٢٣٥ .

وعرفها الجرجاني بقوله :-
الولي :- هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات .
وقال أيضاً :- الولاية : هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه .

وقد ذكر السهروردي الولاية وقسمها إلى أقسام باعتبارات مختلفة ثم ذكر بعض الكرامات للأولياء التي لا يخلو من ذكرها كتاب الصوفي، وأكثر تلك الكرامات التي يروونها محض الخرافات وقصص باطلة . ثم خلص السهروردي إلى أن الصالحين الذين يتولاهم الله ويتولونه ليس المراد بهم: (الذي يقصده أهل الطريق عند تفصيل المراتب ويقولون :- فلان صالح وشهيد وولي، بل الصلاح هنا المراد به :- الذين صلحوا لحضرته بتحقيق الفناء عن خليقته) .
وأما القطب الكبير عند الصوفية وهو القشيري فقد ذكر تعريفات كثيرة للولاية، ونقل عن أكابر مشائخهم آراءهم في الولاية وأهميتها وعلاماتها وكيفية الحصول عليها ومسائل أخرى، وهكذا فان نظرة الصوفية إلى الولي والولاية ليست هي تلك المنزلة الطيبة في مفهوم الإسلام، لأن الولي الصوفي لا حظ له لصلاحيته في هذا الكون .

وقد جاءت الولاية في القرآن الكريم مراداً بها المدح، وأحياناً مراداً بها الذم، فهي تستعمل في الخير وفي الشر حسب إطلاقها، لأن صاحبها إما أن يكون ولياً لله تعالى أو ولياً للشيطان وبين الولايتين من البعد والانفصال ما يعرفه كل مسلم سليم الفطرة صافي العقيدة .

وجاءت في السنة النبوية مراداً بها وصف من ساروا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتزموا طريق الخير ونصروا الدين ووالوه .
ثم توسع الصوفية الشيعية في إطلاقها وخرجوا بها عن حقيقتها ومدلولها الصحيح، فأطلقت على الرجل المتصوف أو من ينتسب إلى آل بيت، ثم أسبغوا على أئمتهم وكبار دعاتهم هذه الكلمة وأنواعاً أخرى من التهويلات المطامع اجتماعية وسياسية .

ثم أخذها الصوفيون بعد ذلك وأخرجوها في مذاهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وهناك صفة ثانية أضيفت إلى مفهوم الولاية عند الشيعة والصوفية، وهي صفة العلم اللدني الذي أخذه علي بن أبي طالب عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما زعموا، ثم ورثه إياهم بسر كتلك الولاية، وبلغ الغلو بالصوفية في أوليائهم إلى أن اتخذوهم بيد الله وبين خلقه وسطاء على

- طريقة النصارى واليهود والمشركين تماماً .

فكما اتخذ هؤلاء المسيح وعزيراً والملائكة أرباباً لهم من دون الله ، اتخذ الصوفية وسطاء إلى الله عزوجل أسموهم القطب والغوث والولي ونسبوا إليهم النفع والضر، لأن الله بزعمهم جذبهم إليه واختصهم ثم ساووهم مع الله تعالى في كل صفاته، بل أصبح من شرط الولي أن يكون متصفاً بصفات الله - كما يزعمون - ومن هنا نشأ تنطعهم وتنقصهم للأنبياء على حد ما ورد عن أبي يزيد البسطامي في قوله :- (مدنا بحراً وقف الأنبياء بساحله).

ثم اخترعوا مفهوماً كاذباً للولاية ، فهي عندهم مجرد هبة من الله عزوجل لبعض خلقه دون أن يكون لها سبب ، بل وبغض النظر عن صلاح الشخص أو فجوره ، واستدلوا بقول الله عز وجل :- (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) (١) اي دون سبب حسب مفهومهم .

ومعنى هذا أنهم يجعلون مفهوم الولاية كمفهوم النبوة ، الكل بلا سبب ظاهر، وهذا خلاف ما قرره الإسلام بالنسبة للولاية التي تنتج عن طاعة الله تعالى والمتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم.

وقد قسموا الولاية والأولياء إلى أقسام . ومنها الملامتية والغوث الأكبر والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والنجباء والأفراد . التي ذكرناها سابقا.
وأخيراً وصلوا بالولاية إلى أنها مثل النبوة تماماً فلها ختم كما للنبوة ختم، فخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم وخاتم الأولياء عند الصوفية مجموعة من الكذابين مختلفون فيما بينهم على ادعائها .
وأول من ادعى ختم الولاية به هو محمد بن علي بن الحسين ، ويسمونه (الحكيم الترمذي) وقد ظهر في القرن الثالث الهجري في آخره - وهو غير الترمذي صاحب السنن .

وهي صنف الحكيم الترمذي كتابه (ختم الولاية) مضاهياً بذلك القول بختم النبوة شهدوا عليه بالكفر ثم نفي من ترمذ .

ثم جاء ابن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ فادعى أنه خاتم الأولياء ، ثم جاء محمد بن عثمان الميرغني السوداني المتوفى سنة ١٢٦٨ هـ فادعى أنه هو خاتم الأولياء ، ثم جاء أحمد التجاني

(١) سورة آل عمران :- ٧٤ .

من فاس بالمغرب المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ فادعى أنه هو خاتم الأولياء، وأن من سبقه أو يلحقه ممن يدعي ختم الولاية فإنه كاذب مفتر.

وكل واحد ممن يدعيها له مزاعم وادعاءات وكرامات ومزايا لا يصدقها شخص له أدنى معرفة بالدين الإسلامي.

وكلما جاء رجل منهم ادعى انه هو خاتم الأولياء وأن غيره كذاب والكل - والله يشهد - كاذبون، ثم بلغ بهم الغلو أن فضلوا خاتم الأولياء المزعوم على خاتم النبيين لأمور لا فائدة من التطويل بذكرها فإنهم مهما تفننوا في الاستدلال على ذلك ومهما زخرفوا القول فيه فهو مردود جملة وتفصيلا. (١)

وأورد الشيخ برهان الدين البقاعيّ في كتابه (مصرع التصوف) بعض مصطلحات الصوفية فقال:-

وقال علاء الدين البخاري:-(إن الملاحدة عبروا عن ضلالتهم بعبارات العارفين بالله، يتسترون بها في زندقتهم، فينبغي الحذر من ذلك، فأرادوا بالفناء نفي حقائق الأشياء، وجعلوها خيالاً وسراباً على ما هو مذهب السوفسطائية، وبالبقاء ملاحظة الوجود المطلق، وبالوحدة المطلقة كون ما سوى الوجود من الأشياء خيالاً وسراباً، وكون وجود جميع الأشياء - حتى وجود الخبائث والقاذورات - إلها، وذلك غيرها أراده العارفون، فإنهم أرادوا بها معاني يصدقها الشرع، وهم مصرحون بأن كل حقيقة يردها الشرع فهي زندقة، وأنه ليس في أسرار المعرفة شيئ يناقض ظاهر الشرع، بل باطن الشريعة يتمم بظاهره، وسره يكمل صريحه:- ولهذا إذا انكشفت على أهل الحقيقة أسرار الأمور على ما هي عليه، نظروا إلى الألفاظ الواردة في الشرع، فما وافق ما شاهدوه قرروه، وما خالف أولوه بما يطابق الشرع، كالآيات المتشابهة، ولا يستبعد وقوع المتشابهة في الكشف ابتلاء لقلوب العارفين، كما أن وقوع المتشابه في الشرع ابتلاء لقلوب الراسخين، فأراد بالبقاء التخلق بالأخلاق الإلهية، والتنحل عن كدورات الصفات البشرية والفناء عندهم عبارة عن طمحلال الكائنات في نظرهم مع وجودها، وعن الغيبة عن نسبة أفعالهم إليهم، وكذا الوحدة المطلقة عبارة عن مشاهدة الله - لا غير - من بين الموجودات لا طمحلالها مع تحققها ووجودها عند ظهور أنوار التجليات، كاطمحلال الكواكب مع وجودها عند ظهور نور الشمس في النهار، فإن كان العارف في هذه الحال يرى نفسه، فذلك هو الفناء في التوحيد، وهو مرتبة الخواص، وهو

(١) فرق معاصرة:- ص:- ٨٦٦ - ٨٧١، ج:- ٢.

-مشوب بكدورة وقصور، وإن غاب مع ذلك عن مشاهدة نفسه وعن أحوالها الظاهرة والباطنة وعن ذلك الفناء- بحيث لا يشاهد شيئاً غير الله كما لا يشاهد في النهار والكواكب غير الشمس- فذلك هو فناء الفناء في التوحيد، وهو درجة خواص الخواص، فيصير لهم معنى قوله تعالى:- (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (١) ذوقاً وحالاً، كما أن حظ غيرهم من المؤمنين منه يكون علماً وإيماناً، فالذوق نيل عين تلك الحال بالحصول الاتصافي والعلم معرفة ذلك بالبرهان، ومأخذه القياس بأن ينظر إلى اضمحلال تلك الكواكب عند إشراق الشمس، فيقاس به اضمحلال وجود الكائنات عند إشراق أنوار التجليات، والإيمان قبولك بالتسامح والإذعان له، ولا يخالف هذا قولهم: إن الطريق إلى المعلوم بالكشف إنما هو العين، دون البرهان، لأن المراد هنا إقامة البرهان على تحقيق الكشف، لا على إثبات المعلوم، فقد عرفت أن معنى الوحدة المطلقة عند العارفين بعيد عما يريد به الكفرة الوجودية من الفلاسفة، ومن تبعهم ممن يدعي الإسلام، ليتمكن من هدم عند الضعفاء. (٢)

وأما قضية المصطلحات التي روجوها بين الناس، واستعملوها فيما بينهم فلا يشك أحد في كونها أجنبية في الإسلام ولغة الإسلام العربية، ومقتبسة مأخوذة من المسيحية بحروفها وألفاظها، معانيها ومدلولاتها مثل: (ناموس، رهوت، رهبوت، لاهوت، جبروت، رباني، روحاني، نفساني، جثماني، شعشعاني، وحدانية، فردانية، رهبانية، عبودية، ربوبية، ألوهية، كيفوفية).

والجدير بالذكر، ومن الأشياء اللافتة للأنظار أن كل من حاول تبرئة التصوف عن كونه مأخوذا ومقتبسا من الرهبنة المسيحية لم يسعه الإنكار عن كون المسيحية احدى مصادر التصوف، وأنه استفاد منها، ولو أنهم أصروا مع ذلك كونه إسلاميا بحتا، معارضين مع ما قالوه، ومناقضين مع ما أثبتوه، مقرين عليهم بالتعارض الفكري، والتضارب القولي، وإنكار ما هو ثابت لا يمكن رده ولا إنكاره، فيقول واحد من هؤلاء - ولاحظ الزهزحة الفكرية، والتناقض الشديد، والتعارض الغريب، والعجز الظاهر عن الدفاع، وضعف القوة وقلة الحيلة، مع الإنكار والإقرار في وقت واحد، لاحظ وأقرأ واستمع - فيقول أحد الكتاب - وهو دكتور في العلوم - ردا على من يجعل النصرانية احدى مصادر التصوف:-

---

(١) سورة القصص :- ٨٨ .

(٢) مصرع التصوف :- ص :- ١٧٠ - ١٧٣ .

لم يقتصر الكلام في المصادر الصوفية على المصدر الفارسي أو الهندي بل ذهب فريق آخر من الباحثين إلى أن ثمة عناصر أخرى روحية يمكن أن ترد أصولها إلى أصول نصرانية .

ويؤيد هذا الفريق مذهبه بما كان يوجد من صلات بين العرب والنصارى سواء في الجاهلية أو في الإسلام ، وبما يلاحظ من أوجه الشبه الكثيرة بين حياة الزهاد والصوفية وتعاليمهم وفنونهم في الرياضة والخلوة والتعبد . وبين ما يقابل هذا كله في حياة المسيح وأقواله وأحوال الرهبان والقسيسين وطرقهم في العبادة واللباس .

ومن الباحثين والمؤيدين لهذا الاتجاه (فون كريمر ، وجولدزيهر ، ونيكولسون وفلسنك وآسين وبلاسيوس وأندريه وأوليري .

ويرى (فون كريمر) : أن التصوف الإسلامي والأقوال المأثورة عن الصوفية على أنهما ثمرات نمت وترعرعت ونضجت في بلاد العرب تحت تأثير جاهلي ، حيث كان كثير من العرب الجاهليين نصارى ، وكان كثير من هؤلاء النصارى قسيسين ورهباناً .

وجولدزيهر : يستند إلى ما تقرره النصرانية من إيثار الفقر والفقراء على الغنى والأغنياء ، فيزعم أن ما ورد في الحديث النبوي من هذا المعنى مستمد من النصرانية ، ويعني هذا أن يترتب عليه أن الفقر والتقشف في الحياة إنما يرجع إلى أصل نصراني ، ويضيف عليه نيكولسون أيضا ما يصطنعه الصوفية من صمت وذكر فيزعم أنه مأخوذ من النصرانية.

هذا من حيث :- إن التصوف زهد وطريقة في العبادة والرياضة واللباس .

أما فيما يتعلق بها من حيث هي مذاهب تصور منازع أصحابها الفلسفية واتجاهاتهم الروحية والفلسفية معاً : فإن هناك طائفة من القصص والأقوال التي تروى عن المسيح مما ورد في كتب الصوفية أنفسهم ، ويمكن أن يؤخذ على أنه مصدر لبعض المذاهب الصوفية الإسلامية .....

على أننا لا ننكر ولا أحد يستطيع أن ينكر ما يوجد من أوجه الشبه بين حياة الزهاد ولباسهم وبعض ما أثر عن المسيح وحواريين من أقوال في المحبة وغيرها من شؤون الحياة الروحية .

فاننا لا نستطيع مع ذلك نجزم بأن مصدر التصوف والحياة الروحية في الإسلام إنما هو نصراني صرف.

صحيح أيضا أنه كان ممن مال إلى الرهبنة من العرب من يبنى الأديرة - فقد روى عن حنظلة الطائي أنه فارق قومه وتنسك، وبنى ديرا بالقرب من شاطئ الفرات حيث ترهب فيه حتى مات، وكذلك قيل عن قس بن ساعدة كان يقتفر القفار، ولا تكنه دار، ويتحسس بعض الطعام، ويأنس بالوحوش والهوام.

وصحيح أنه يروى عن أمية بن أبي الصلت أنه ليس بالمنسوخ تعبداً وأن لكل من قس وأمية نثرا وشعرا صبغاً بطابع ديني، وأصطبغا بصبغة الزهد في الدنيا والنظر في الكون، وصحيح بعد هذا كله، وفوق هذا كله، أن القسس والرهبان كانوا ينبثون هنا وهناك في أسواق العرب يعظون ويبشرون ويتحدثون عن البعث والحساب والجنة والنار كما يدل على ذلك كثير من آيات القرآن الكريم التي تتحدث عنهم وتحكي أقوالهم وتفند مذاهبهم.

وتصور إلى أي حد كانت تعاليمهم بين العرب، فهذا كله صحيح لا شبهة فيه ولا غبار عليه ولكن الذي ليس بصحيح هو أن نجعل منه أساساً يبني عليه القول بأنه وحده مصدر التصوف الإسلامي.

ولكن هناك تساؤلا وهو لماذا يقصر الباحثون أنظارهم على حياة المسيح وأقواله والرهبان وأحوالهم حين يحاولون ربط الصوفية بالمصادر النصرانية ولم لا يجوز أن يكون هذا التصوف أيضا كان مسايرة لطبيعة الحياة العربية الجاهلية.

وقد كانت وقتئذ حياة خشنة لا حظ لها من ترف، ولا أثر فيها لنعومة بحيث يمكن أن يقال: إن حياة الزهاد والصوفية في الإسلام إنما هي استمرار لهذه الحياة الخشنة البعيدة عن الزخرف والنعيم، والتي كان يحياها العرب الجاهليون بصفة عامة، والتي كانت تصطبغ عند بعضهم بصبغة الخلوة والانقطاع عن الناس، إلى التفكر والتقرب من الآلهة يلتمسون عندهم الخير والحكمة؟

بل وما الذي يمنع أيضاً من أن يكون مرجع الحياة الروحية الإسلامية هو مذهب الحياة التي كان يحياها قوم في الجاهلية يعرفون ببني حنيفة، الذين انفردوا لخدمة الله عند بيته الحرام؟

ومع هذا لا أحد ينكر ما للمسيحية والرهبان من تأثير بالغ في الحياة الجاهلية السابقة.

بالإضافة إلى ما نلتقي به في ثنايا بعض النظريات الصوفية في الحب الإلهي ببعض الألفاظ والعبارات والعقائد التي هي من أصل نصراني مثل القول :- (باللاهوت والناسوت) أو (حلول اللاهوت في الناسوت) أي حلول الإله (اللاهوت) في المسيح الإنسان (الناسوت) أو حلول الأول في الثاني إذا بلغ هذا درجة معينة من الصفاء الروحي.

ومثل القول (بالكلمة) التي هي في النصرانية واسطة بين الله والخلق، والتي اصطنعها بعض الصوفية في التعبير عن نظرياتهم في الحقيقة المحمدية، باعتبارها أول مخلوق خلق الله، أو: أول تعين للذات الإلهية فاضت منه بقية التعينات الأخرى من روحية ومادية، ولم تظهر هذه العناصر النصرانية وأشباهها إلا بعد أن كان المسلمون قد اختلطوا بالنصارى وأخذوا يحاورونهم ويجادلونهم في العقائد، فكان طبيعيا أن ينتشر بعض هذه العقائد النصرانية، وأن يعمل عملها في البيئة الإسلامية، ويتردد صداه في أقاويل الصوفية ومذاهبهم في الحب الإلهي وفيما يتصل به، من اتحاد بين الرب والعبد، ومن حلول الرب في العبد.

وهذا أمر طبعي ملائم لسنة الحياة وتطورها: إذ لا يمكن وقد تطور التصوف وقد استحال إلى علم له مناهجه ومذاهبه ومنازعه الروحية المصطبغة بصبغة فلسفية، أن يظل الصوفية بمعزل عن هذا الجو الذي امتلأ بالأفكار والعقائد النصرانية وما يدور حولها من حوار وجدل بين المسلمين والنصارى دون أن يكون لها أثر فيما صدر عنهم من أقوال، وما ذهبوا إليه من مذاهب، لا سيما إذا كانت هذه الأقوال والمذاهب تدور حول مسائل تتصل من قريب أو بعيد بالعقائد)

ويقول الدكتور التفتازاني بعد الرد على المستشرقين القائلين بأن كثيرا من أمور التصوف مأخوذ من النصرانية، يقول بعد الرد عليهم :-

(ومع هذا لا ننكر تأثر بعض الصوفية المتفلسفين بالمسيحية، على نحو ما نجد عند الحلاج الذي استخدم في تصوفه اصطلاحات مسيحية كالكلمة واللاهوت والناسوت وما إليها، ولكن هذا لم يظهر إلا في وقت متأخر (أواخر القرن الثالث الهجري) بعد أن كان زهد الزهاد قد استقر في القرنين :- الأول والثاني الهجريين، وأصبح دعامة لكل

- تصوف الحق .

ولذلك فإن من الإنصاف العلمي القول بأن مذاهب الصوفية في العلم، ورياضاتهم العملية، ترد إلى مصدر اسلامي، إلا أنه بمرور الوقت وبحكم التقاء الأمم واحتكاك الحضارات، تسرب إليها شيئ من المؤثرات المسيحية أو غير المسيحية، فظن بعض المستشرقين خطأ أن الصوفية أخذوا أول ما أخذوا عن المسيحية). (١)

(١) المصدر السابق :- ص :- ٩٣ - ٩٤ .

الفصل الرابع :- أقسام المتصوفة ومرتبهم وأسمائهم

الصوفيون طوائف عديدة وأهواء متباينة، شأن كل أصحاب البدع حين يتركون المنهج الذي شرعه الله لعباده .

ولقد اختلف العلماء في عددهم لأقسام وطرق التصوف اختلافاً واسعاً، إذ تجد بعضهم يعدهم قسمين، وبعضهم يعدهم ثلاثة أقسام، وبعضهم يوصلهم إلى ستة أقسام.

وهذا الاختلاف سببه تنوع مصادر الصوفية وتنوع أفكارهم، فبعض الصوفية تابعون للمذهب الإشراقي، الذي يدعي أن المعرفة والعلم تقذف في النفس بسبب طول المجاهدة الروحية، إذ يحصل لها، بذلك فيض وإشراق إلهي، ومذهبهم أشبه ما يكون بالمذهب البوذي في رياضة النفس وحملها على المكاره - هذا قسم من الصوفية .

وقسم آخر بعض العلماء يعبر عنهم بصوفية الحقائق، وهم من صفوا من الكدر ومتلئوا من الفكر كما يدعون، على طريقة الفلسفة الهندية .

وقسم آخر من الصوفية قائلون بالحلول، أي دعوى أن الله - تعالى عن قولهم - حل في مخلوقاته وأن أرواحهم لاهوتية وأجسامهم ناسوتية .

وقد قسم شيخ الإسلام الصوفية إلى ثلاثة أقسام هم :-

(١) صوفية الحقائق (٢) صوفية الأرزاق (٣) صوفية الرسم .

وقال عن القسم الأول : (فأما صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم .) ولعله يقصد بذلك ما قدم من ذكر خلاف الناس في الحكم على الصوفية والتصوف حيث قال : (ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه، تنازع الناس في طريقهم. فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا :- إنهم مبتدعون خارجون عن السنة .....)، قال : (وطائفة غلت فيهم ودعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء) .

ثم قال في بيان حكمه عليهم بعد ذكر هذا الخلاف : (وكلا طرفي قصد الأمور

-ذميم، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله تعالى كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله....)
إلى آخر ما ذكره عنهم.
ولعل هذا الحكم منه إنما ينطبق على التصوف في بدء أمره حينما كان بمعنى الزهد والإجتهاد في العبادة.

ثم قال عن القسم الثاني منهم:-
(وأما الصوفية الأرزاق فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كالخوانك، فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فإن هذا عزيز، وأكبر أهل الحقائق لا يتصدون بلوازم الخوانك ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط)، ثم ذكرها، وهي: وجود العدالة الشرعية فيهم، والتأدب بآداب الشرع، وألا يكون متمسكاً بفضول الدنيا.

ثم قال عن القسم الثالث منهم:-
(وأما صوفية الرسم فهم المقتصرون على النسبة، فهمتهم في اللباس والآداب الوصفية ونحو ذلك)
أي أنهم يتشبهون بالصوفية في الظاهر ويحرفون أقوالهم، ولكنهم خارجون عن طريقتهم همهم جمع الأموال والاحتيال على الجهال بأمرهم.

وهذا التقسيم واضح جلي، إلا أنه ليس فيه توضيح وبيان لمدى ما وصلت إليه العقيدة الصوفية فيما بعد، ومدى تأثرها بالينابيع والمصادر الخارجية عن الإسلام.

لقد أصبح من الصعب جداً تمييز طوائف التصوف أو الحكم عليهم بحكم واحد شامل لجميع فرقهم وعقائدهم المتشعبة، إذ لا يمكنه معرفة كل قسم من أقسام التصوف قائماً بنفسه متميزاً عن غيره إلا من خلال (الطرق) الكثيرة، والتي هي تعبير عن التزام مجموعة من الأتباع أو المريدين بشيخ يجعلونه قدوتهم، وينفذون ما يوجب عليهم من أذكار وسلوك، وقد تتفق طريقتين مع بعض الطرق وقد تختلف عنها؛ والطرق الصوفية لم تقف عند حد أو مفهوم، فهي دائماً في ازدياد وتجدد، إذ كل من ابتدع طريقاً، وجد له أتباعاً يتسمون باسمه أو باسم طريقته.

وقد ذكر الشيخ أبو علي حسن بن علي العجيمي الحنفي طرق الصوفية، فعد منها أربعين طريقاً في رسالة له، وقد لخصها الشيخ أبو سالم العياشي في رحلته، وقد أوصلها غيرهم إلى أكثر من ذلك.

وبعد أن ذكر علي بن محمد الدخيل الله ذلك قال :-

(والحق أن طرق الصوفية كثيرة جداً بحيث يصعب حصرها، إذ كل من عنّ له أن يبتدع طريقاً فعل، وسماها باسمه واسم قبيلته أو عشيرته، وهذا مشاهد بكثرة في أفريقا إذ بين فترة وأخرى تخرج طريقة جديدة تحمل اسماً جديداً ولها أوراد معينة وأوراد مقررة)

وذكر الدكتور عامر طعيمة ما مجموعه ٦٦ طريقة وقال :-

(وأما الطرق الصوفية الحديثة فمن العسير تسجيل أسماء معظمها في كتاب، ويكفي أننا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري قد بلغ عدد الطرق الصوفية في بلد واحد أكثر من مائة طريقة) .

ثم أخذ بعد منها ٥٦ طريقة نقلاً عن المنوفي في كتابه جمهرة الأولياء، الذي ذكر فيه قسماً كبيراً من طرقهم تحت عنوان (هذا بيان بشيوخ الطرق الصوفية في عصرنا) .

وكل الطرق الصوفية ناتجة عن الهوى ونابعة منه ومبنية على الرغبة في الزعامة والعلو في الأرض واستعباد الناس، وصار زعماء الصوفية في مجموعهم يحرصون حرصاً شديداً على هذه الزعامة الروحية، ووصل بهم الحرص عليها أن جعلوها وراثية وكأنها جزء من المال الذي يخلفه الميت على حد ما أورده محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني فإنه قال بعد سرده الطويل لطرق الصوفية وأسماء مشائخها قال بعدها :-

(وكل هذه الطرق تنسب كل واحدة لولي من الأولياء رضي الله عنهم، وقد يرثها حفيد أو سبط لولي من أولئك الأولياء فيكرمه الله سبحانه وتعالى بكرامة آبائه وأجداده الصالحين، فإن سار على دربهم أكرمه الله مثل ما أكرمهم، وإن فرط أو قصر أكرمه الله لأجلهم) .

وهذا جهل شنيع وكذب من أشد أنواع الكذب، فإن هذه المحاباة التي افتروها على الله تعالى إنما هي من جنس الهوس والأماني الباطلة والقرآن مملوء بالرد على مثل هذه الافتراءات والسنة كذا ترد مثل هذه الأفكار الجاهلية، فالقرآن يصرح بأن (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)(١) وأن كل نفس (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)(٢) وأن صلاح الآباء - إذا كانوا صالحين -

(١) سورة الطور :- ٢١ .
(٢) سورة البقرة :- ٢٨٦ .

- لا يغني عن الأبناء إن لم يكونوا كذلك .

وقد صرح الرسول صلى الله عليه وسلم لقرابته أنه لا يملك لهم من الله شيئاً ، وأن عليهم ألا يتكلوا على الأنساب ، بل عليهم أن يحذروا الله عز وجل وأن يتقربوا إليه بالأعمال الصالحة ، إذ لو كانت الأنساب تغني لما هلك والد ابراهيم وابن نوح على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ، وهذا رد صريح على ما يزعمه الصوفيون من التقرب إلى الله بولاية القطب الفلاني أو الغوث الفلاني ، وأن الله يفيض حتى على العصاة صنهم إكراماً لآبائهم ، وإن الذي جرأهم على هذا هو قلة خوفهم من الله تعالى ، واستحلالهم الكذب في سبيل مدح أوليائهم بالحق والباطل .

وقد قال عبد الرحمن عبد الخالق في بيان تاريخ نشأة الطرق الصوفية ونظامها الوراثي : (وقد قيل : إن أول صوفي وضع نظام الصوفية هو الصوفي الإيراني محمد أحمد المهيمي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ ، والمعروف باسم أبي سعيد ، فقد أقام في بلدته نظاماً للدراويش ، وأقام بناءً للصوفية بجوار منزله ، وسن نظام تسلسل الطرق عن طريق الوراثة ، وبيّن كثيراً من أمور التربية الصوفية ، بل هو من أوائل من كتب في طريقة التربية الصوفية ، وهو أكبر من عبد الكريم القشيري صاحب الرسالة القشيرية) (١)

وقد إنتشرت الطرق الصوفية في أصقاع كثيرة من العالم ، والطرق الصوفية كما عرفها بعض الصوفية : (مجموعة أفراد من الصوفية ينتسبون إلى شيخ معين ، ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي ، ويحيون حياة اجتماعية في الزوايا ، والروابط والخانقاوات ، أو يجتمعون اجتماعات دورية منظمة في مناسبات معينة ، ويعقدون مجالس العلم والذكر بانتظام) (٢)

ومن طرق الصوفية الكثيرة :-

(١) الطريقة النقشبندية :- تنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند (٧١٨ - ٧٩١ هـ) وهي طريقة سنية كالشاذلية ، انتشرت في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية . (٣) ومركزها بخارى في أوزبكستان ونشأت -

(١) فرق معاصرة :- ص ١-٧٤٤ - ٧٤٩ ، ج :- ٢ .
(٢) مشكلة الغلو في الدين :- ص :- ٤٤٩ ، ج :- ٢ .
(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة :- ص :- ٣٤٧ ، ٣٤٩ .

- في القرن الرابع عشر الميلادي .

(٢) الطريقة الكبراوية :- ومنتشرة في عدة مناطق في تركمانستان ، وقد نشأت في القرن الثاني عشر الميلادي .

(٣) الطريقة الياسوية :- ومركزها في مدينة ياسي (تركستان حالياً) في جنوب كازخستان ونشأت في القرن الثاني عشر الميلادي . (١)

(٤) الطريقة القادرية :- تنسب إلى عبد القادر الجيلاني (٤٧٠ - ٥٦١ هـ) المدفون في بغداد حيث تزوره كل عام جموع كثيرة من أتباعه للتبرك به ، اطلع على كثير من علوم عصره ، وقد نسب أتباعه إليه كثيراً من الكرامات ، رزق بتسعة وأربعين ولداً حمل أحد عشر منهم تعاليمه ونشروها في العالم الإسلامي . (٢) وهذه الطريقة من الطرق المشهورة في بلاد أفريقيا والبلدان العربية وشبه القارة الهندية الباكستانية (٣) ومركزها وادي فرغانة .

مركزية شديدة :- والمقارنة مع ثاني أكبر الحركات تأثيراً في تاريخ منطقة آسيا الوسطى ، فان الطريقة القادرية تتسم بمركزية شديدة وهرمية في قيادة الحركة بطريقة تخدمة توريث زعامة الطريقة من عائلة واحدة ، وهو ما يحد من انتشارها بين القبائل الأخرى التي قد لا ترضى بزعامة بعيدة عنها جغرافياً وإن اقتربت بالطقوس والممارسات .

وهذه الطرق الأربعة من أهم الطرق في آسيا الوسطى حيث تعتبر منطقة آسيا الوسطى إحدى المراكز الرئيسة لإنتشار الصوفية في العالم الإسلامي . ولقد لعبت الصوفية في منطقة آسيا الوسطى دوراً مهماً في مقاومة الإستعمار القيصري والسوفييتي .

(١) مجلة المجتمع العدد ١٦٨٧ - ٥ محرم ١٤٢٧ هـ - ٤/٢/٢٠٠٦ م ص:- ٣٨
(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ص:- ٣٤٧ ، ٣٤٩ .
(٣) دراسات في التصوف ١- ص:- ٢٤٩ .

وترجع أسباب انتشارها إلى :-

القدرة على التأقلم والتغير حسبما تقتضي الظروف السياسية ، والإجتماعية ، كما أنها تتأقلم لغوياً حسب الموقع الجغرافي الذي توجد فيه ، ففي آسيا الوسطى تتعامل بالفارسية الشائعة خاصة في طاجيكستان ، وفي القوقاز تتعامل باللغات الثلاث المعروفة ، الفارسية والتركية والعربية .

اللامركزية الواسعة التي تسمح بقيام خلايا حرة الحركة لا ترتبط بمركز وإن اشتركت معه في شعائره وطقوسه . وعادة ما يرسل شيخ الطريقة خلفاء له يقومون بعملية التبليغ في المناطق النائية عن المركز كنواب يحملون صفته ويورثونها لأبنائهم . وهو ما يجعل انتشار الطريقة في هذه المناطق البعيدة عن المركز أشبه بالأغصان المستدقة الطول البالغة البعد عن جذع الشجرة الأصلي ، وهكذا من جديد حتى تنتشر الطريقة .

تلفظ النقشبندية أصحاب الأفكار الثورية وتضع اندماجهم معها ، في الوقت الذي تمزق داخلها عدداً من الطرق الصوفية الأخرى (كالياسوية والكبراوية) . وتتسم النقشبندية بنظام مانع في الإنتساب لعضويتها يخضع المريدين العدد إلى مراجعه ، وفي كثير من الأحيان تكون تغذية الإنتساب للطريقة على مستوى القبيلة والعشيرة ، بما يحقق معرفة جيدة بتوجهات وميول المنتسبين الجدد .

انشغلت النقشبندية في مراحل تاريخية مختلفة بمقاومة الأعداء الخارجيين كالبوذيين والقياصرة والسوفييت ، لكنها لم تخض في أي فترة تاريخية حرباً على المستوى المحلي بينها وبين غيرها من الفرق المذاهب الإسلامية .

تختلف النقشبندية عن غيرها من باقي الحركات الصوفية في تحفظها على دور المرأة ، إذ لا تسمح بوجود خلايا ومجموعات صوفية نسائية أو وجود حلقات مشتركة للذكر والمناجاة كما تنهج إلى ذلك بعض الطرق الصوفية ، كالطريقة الياسوية .

تتجاوز النقشبندية البعد العرقي في المرجعيات الدينية ، فالمريد الطاجيكي يمكن أن يكون شيخه أوزبكياً ، والعكس صحيح بغض النظر عن بعد المسافات الجغرافية التي

- تحول بينهما، كما تشترك النقشبندية مع غيرها من الطرق في إعلاء قيمة الأضرحة وزيارات الموتى من شيوخ الطريقة. (١)

(٥) الطريقة الرفاعية: - تنسب إلى أحمد رفاعي (٥١٢ - ٥٨٠ هـ) من بني رفاعة قبيلة من العرب، وجماعته يستخدمون السيوف ودخول النيران والحراب في إثبات الكرامات، كان زاهدًا كثير الرياضة النفسية، وانتشرت طريقته في غرب آسيا. (٢) والرفاعية من السلاسل المنتشرة أيضا في العراق وبلاد الشام وغيرها. (٣)

قال عنهم الشيخ الآلوسي في غيابة الأماني في الرد على النبهاني: - (وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة: مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذها، فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير الله وعبادة مشايخهم، وأعمالهم عبارة عن مسلك الحيات) ١/ ٣٧٠.

وتتفق الرفاعية مع الشيعة في أمور عدة منها: - إيمانهم بكتاب الجفر، واعتقاداتهم في الأئمة الإثني عشر، وأن أحمد الرفاعي هو الإمام الثالث عشر، بالإضافة إلى مشاركتهم الحزن يوم عاشوراء وغير ذلك.

هذا رغم ما ورد عن شيخ طريقتهم - الشيخ أحمد الرفاعي - من الحض الشديد على السنة واجتناب البدعة ومنها قوله: (ما تهاون قوم بالسنة وأهملوا متبع البدعة إلا سلط الله عليهم العدو، وما انتصر قوم للسنة وقمعوا البدعة وأهلها إلا رزقهم هيبة من عنده ونصرهم وأصلح شأنهم) (٤).

نماذج من خرافات الرفاعية: -
وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم مد يده إلى الرفاعي وهو في القبر ليقبلها. وذكر أن منكر هذه الحادثة يكفر (قلادة الجواهر: ١٥ و ١٠٤).

---

(١) المجالس السابقة: - ص: - ٣٨.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ص: - ٣٤١.

(٣) دراسات في التصوف: ص: - ٢١٥.

(٤) موقع الخيمة.

وينسب إلى الرفاعي أن الولي يحيي الموتى وأنه اذا قال للشيئ (كن فيكون) (قلادة الجواهر ٧٣ و ١٤٥ المعارف المحمدية ٤٧ - ٣٤٨).

وأنه هو بدوره أحيا عظام الطيور التي كان أكلها قبل ذلك ثم نفخ في العظام وهي رميم فقال لها (كوني سمكا كما كنت أولا بإذن الله تعالى. فما استتم كلامه حتى قامت وتناثرت سمكا حيا: شاهدة الله بالوحدانية وللنبي بالرسالة وبالسيد الرفاعي بالولاية العظمى)

وأنه بلغ من حب الأسماك له أنه كان كلما مشى على الشاطئ تخرج الأسماك من بطن البحر لالتماس بركاته وتزدحم على أقدامه الشريفة، وتسأله بحق الله أن يأكل منها (قلادة الجواهر ١٠٢)

وأن الشيخ إبراهيم منصور خليفة الرفاعي كان إذا رأى البلاء نازلا من السماك أخذ قضيبا وأشار إلى السماء فتفرق البلاء ويستطيع بمجرد تحريك العصا أن يرد القضاء الله النازل من السماء. (قلادة الجواهر ٢٧ جامع كرامات الأولياء ٢/ ٣٦٨).

وذكروا أن الشيخ رجب الرفاعي كان كثيرًا ما يتواجد في حلقة الذكر فيقطر من عرقه العطر النفيس الخالص كما يقطر المطر (تنوير الأبصار ١١٩ خزانة الأمداد ١٥٩).

وأن الشيخ منصور (خال الشيخ الرفاعي) كان اذا فتح فمه يخرج منه عمود من نور يخرق السماوات السبع (قلادة الجواهر ٤٤). (١)

(٧) الطريقة الشاذلية :- سلسلة صوفية مشهورة وطريقة صوفية منتشرة في مصر وتونس والجزائر وغيرها من البلدان، (٢) والشاذلية نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي (٥٩٣ - ٦٥٦ هـ) ولد بقرية قرب مرسية وانتقل إلى تونس وحج عدة مرات ثم دخل العراق ومات أخيرًا في صحراء عيذاب في طريقه إلى الحج، قيل عنه (إنه سَهَّل الطريقة على الخليقة) لأن طريقته أسهل الطرق وأقربها فهي تقوم على كثرة الذكر والذكر وليس

(١) موسوعة أهل السنة: ص:- ١٢٤٨، ج:-

(٢) دراسات في التصوف: ص:- ٢٣٥.

فيها كثير مجاهدة، انتشرت طريقتها في مصر واليمن وبلاد العرب، وأهل مدينة (منها) يدينون لها بالتقدير والاعتقاد العميق في ولايتها، وانتشرت طريقتها كذلك في مراكش وغرب الجزائر وفي شمال أفريقيا وغربها بعامة. (١)

(٧) الطريقة التيجانية :- ومن طرق التصوف المشهورة في بلاد أفريقيا والمغرب العربي (التيجانية) نسبة إلى أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني المولود بقرية عين ماضي سنة ١١٥٠ هـ.

والمدعي انتسابه إلى رسول الله ﷺ، لا بطريقة عملية بإثبات نسب وأسرته إلى الأشراف السادة، بل بدعوى الكشف والإلهام حيث قال: -أنه سأل النبي ﷺ عن نسبه يقظة فردّ عليه أن نسبه إلى الحسن بن علي صحيح. (٢)

وهذه الطريقة التي لها الأمر والنهي في أقطار كثيرة من بلاد أفريقيا بخصوصها، وهي نسبة إلى شخص يسمى أحمد بن محمد بن مختار التجاني. ولد سنة ١١٥٠ هـ، بقرية عين ماضي، وينسب إلى بلدة تسمى (بني تجين) من قرى البربر، ولم يترك هذا التجاني بدعة قديمة ولا حديثة للتصوف إلا ادعاها وزخرف القول فيها، ولم يترك فضلاً مزعوماً ادعاه شيخ صوفي لنفسه إلا وادعاه هو لنفسه وزاد عليه، ولقد ادعى أموراً كثيراً يهول الحديث لو بسطت، وإنما نشير إليها إجمالاً فيما يأتي :-

(١) ادعى أنه خاتم الأنبياء جميعاً وهي دعوى كاذبة مبينة على فهم خاطئ وقياس باطل، فزعم أن الولاية لها ختم كختم النبوة ومحمد رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء، والتيجاني خاتم الأولياء فلا ولي بعده.

(٢) أنه الغوث الأكبر في حياته وبعد مماته وقد جعل نفسه بهذه الدعوى وثناً يعبد من دون الله.

(٣) أن أرواح الأولياء منذ آدم إلى وقت ظهوره، لم يأتيها الفتح والعلم الرباني إلا بواسطته هو، وهذا نهاية الحمق والقول على الله بغير علم، والاستهانة بعقول الناس وخداعهم.

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ص: -٣٤١.

(٢) دراسات في التصوف: ص: -٢٦٣.

(٤) زعم متطاولٌ أن قدمه على رقبة كل ولي لله تعالى منذ أن خلق آدم إلى النفخ في الصور، وربما يجازى بهذا الكبر أن يحشر في صورة الذر كما هو جزاء المتكبرين.

(٥) أنه هو أول من يدخل الجنة هو وأصحابه وأتباعهم، وصدق عليهم قول الله :- ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ (١)

(٦) أن الله شفعه في جميع الناس الذين يعيشون في قرنه الذي عاش فيه.

(٧) أن الرسول ﷺ أعطاه ذكراً يسمى (صلاة الفاتح) يفضل كل ذكر قيل في الأرض ستين ألف مرة بما في ذلك القرآن الكريم، والذكر المزعوم هنا - صلاة الفاتح - ذكر مبتدع سيئ التركيب ركيك العبارة، وهو:-

(اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله، حق قدره ومقداره العظيم).

وهذا هو الذكر الهائل عند الذي ألهمه الله حسب زعمه، أو علّمه به النبي ﷺ يقظة لا منامًا ثم فضله على كل ذكر.

ولقد رأيت أتباعه وهم يجلسون في يوم الجمعة - من بعد صلاة العصر إلى المغرب - وهم يردون هذا الكلام بصوت جماعي ومرتفع جداً يسمع من مكان بعيد، بسم ينصرفون وهم لا يشكون في أنهم من أعظم الخلق عبادةً وأجراً عند الله، واستدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ومن خرافات التيجاني زعمه أنه يرى الرسول ﷺ في كل وقت يشاء، وأن الرسول ﷺ يجالسهم ويحضر سمرهم ولهوهم، ويلقي عليهم أذكارهم وأدعيتهم الشركية والخرافية حسب ما يفترون.

ولقد صرف التيجانيون الناس عن الهدى والطريق الصحيح، وملئوا أذهانهم بشركيات وخرافات لا تمت إلى الدين الإسلامي بأي علاقة، وجنوا على عقائد المسلمين بما-

(١) سورة البقرة :- ١١١

- ألقوه في قلوبهم من الرجوع إلى الوثنية والخرافات الجاهلية والتعلق بغير الله تعالى، وصرف أنظارهم عن واقعهم المتردي من حيث لا يشعر هؤلاء الأتباع . (١)

(٨) الطريقة الأحمدية :- تنسب إلى أحمد البدوي أكبر أولياء مصر (٥٩٦ - ٦٧٤ هـ) ولد بفاس، حج ورحل إلى العراق، واستقر في طنطا حتى وفاته، له فيها ضريح مقصود، إمتاز بالفروسية، عكف على العبادة وامتنع عن الزواج، وأتباعه منتشرون في جميع أرجاء مصر ولهم فيها فروع كالبيومية والشناوية وأولاد نوح والشعبية، وشارتهم العمامة الحمراء . (٢)

(٩) الطريقة الدسوقية :- تنسب إلى إبراهيم الدسوقي (٦٣٣ - ٦٧٦ هـ) المدفون بمدينة دسوق في مصر، يدعي المتصوفة أنه أحد الأقطاب الأربعة الذين يرجع إليهم تدبير الأمور في هذا الكون . (٣) وطريقته تدعوا إلى الخروج عن النفس وحظوظها، رأس مالهم المحبة لجميع الخلق والتسليم والسكون تحت مراد الشيخ وأمره، إنها تدعو إلى العلم والعمل به مع عدم استجاب الخلوة إلا إذا كانت بأمر من الشيخ .

(١٠) الطريقة البكداشية :- كان الأشراك العثمانيون ينتمون إلى هذه الطريقة وهي ما تزال منتشرة في ألبانيا كما أنها أقرب إلى التصوف الشيعي منها إلى التصوف السني وقد كان لهذه الطريقة دور بارز في نشر الإسلام بين الأتراك والمغول وكان لها سلطان عظيم على الحكام العثمانيين ذاتهم .

(١١) الطريقة الملامتية :- مؤسسها أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمار المعروف بالقصار (ت ٢٧١ هـ) أباح بعضهم مخالفة النفس بغية جهادها ومحاربة نقائصها، وقد ظهر الغلاة منهم في تركيا حديثاً بمظهر الإباحية والاستهتار وفعل كل أمر دون مراعاة للأوامر والنواهي الشرعية .

(١٢) الطريقة المولوية :- أنشأ الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢ هـ) والمدفون-

(١) فرق معاصرة : ص :- ٧٥٠ - ٧٥٣ ، ج :- ٢ .
(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ص :- ٣٤٨ .
(٣) موقع النخيمة .

- بقونية ، يتميزون بإدخال الرقص والإيقاعات في حلقات الذكر وقد انتشروا في تركيا وآسيا، الغربية ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في تركيا وفي حلب وفي بعض أقطار المشرق .

(١٣) الطريقة الأكبرية :- نسبة إلى الشيخ الأكبر هي الدين بن عربي ، وتقوم طريقته على الصمت والعزلة والجوع والسهر، ولها ثلاثة صفات :- الصبر على البلاء ، والشكر على الرخاء ، والرضا بالقضاء . (١)

(١٤) الطريقة الجيلانية :- تنسب إلى عبد القادر الجيلاني (٤٧٠ - ٥٦١ هـ) المدفون في بغداد ، حيث تزوره كل عام جموع كثيرة من أتباعه للتبرك به ، اطلع على كثير من علوم عصره ، وقد نسب أتباعه إليه كثيراً من الكرامات .

وقد ساهمت طريقته في إقامة المراكز الإسلامية التي قامت بدور كبير في نشر الإسلام في أفريقيا ووقفت حاجزاً منيعاً في وجه المد الأوروبي الزاحف إلى المغرب العربي .

وهناك طرق كثيرة غير هذه : كالقادرية ، والقيروانية ، والمرابطية ، والبشبشية ، والسنوسية والمختارية ، والختمية ..... وغيرها ، ولا شك أن كل هذه الطرق بدعية . (٢) ويدّعي كل منها أنه على حق ، وغيرها على باطل ، والإسلام ينهى عن التفرق ويقول الله تعالى :- (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) (٣) والإسلام طريق واحد فقط ، والدليل حديث ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال :- خطّ لنا رسول الله ﷺ خطاً بيده ، ثم قال :- "هذه سبيل الله مستقيماً" ، وخطّ خطوطاً عن يمينه وشماله ، ثم قال :- "هذه السُّبل ، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه" ثم قرأ قوله تعالى :- (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٤) (٥)

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة :- ص :- ٣٤٨ - ٣٤٩ .
(٢) موقع النخيمة .
(٣) سورة الروم :- ٣١ - ٣٢ . (٤) سورة الأنعام :- ١٥٣ .
(٥) الصوفية في ميزان الكتاب والسنة : ص :- ٦ ، ١١ .

أسماء الصوفية وسبب تسميتهم بها :-

ومن أشهر الأسماء لهذه الطائفة اسم (الصوفية)، ولهم أسماء أخرى غير مشهورة على ألسنة الناس، ومن تلك الأسماء التي أطلقت عليهم أو أطلقوها هم على أنفسهم:-

الصوفية :- وهو الاسم المشهور الذي يشمل كل فرقهم، وهم يرضون به ويتمدحون بالانتساب إليه.

أرباب الحقائق :- لزعمهم أنهم وصلوا إلى حقائق الأمور وخفاياها بخلاف غيرهم من الناس الذين أطلقوا عليهم اسم (أهل الظاهر) و (أهل الرسوم).

الفقراء :- وهو اسم زعم السهروردي أن الله هو الذي سماهم به حيث قال :- (وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون :- قال الله تعالى :- (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (١) وهذا وصف الصوفية، والله تعالى سماهم فقراء).

ويسمون شكفتية في خراسان نسبة إلى الغار، قال السهروردي عن الصوفية في خراسان :(كان منهم طائفة بخراسان يأوون إلى الكهوف والمغارات، ولا يسكنون القرى والمدن يسمونهم في خراسان شكفتية، لأن شكفت اسم الغار، ينسبونهم إلى المأوى والمستقر)

جوعية :- قال السهروردي :-(وأهل الشام يسمونهم جوعية).

الملامية أو الملامتية :- وقد عنون المناوي لها بقوله :-(أهل الملامة والملامتية.) (٢)

(١) سورة البقرة :- ٢٧٣.

(٢) فرق معاصرة :- ص :- ٧٢٧ - ٧٢٨.

الباب الثاني

الفصل الأول :- مصادر التصوف .

الفصل الثاني :- كرامات الصوفية .

الفصل الثالث :- الجهاد عند الصوفية .

الفصل الرابع :- أقوال الصوفية .

الفصل الخامس :- موقف الصوفية واعتقاداتهم من العبادة والدين .

الفرع الأول :- عقيدة الصوفية في الإلـه عز وجل .

الفرع الثاني :- الحلول .

الفرع الثالث :- وحدة الوجود .

الفرع الرابع :- اعتقاد الصوفية في الرسول صلى الله عليه وسلم .

الفصل السادس :- أبرز الشخصيات عند الصوفية .

الفصل الأول :- مصادر التصوف

مصادر التلقي الرئيسة عند فرق الصوفية - عموماً - ثلاثة مصادر، وهي: - الكشف، والذوق، والوجد، وتحت كل منها :- أقسام. وهذا لا ينفي وجود مصادر أخرى ثانوية غير هذه الثلاثة .

وقد خالفتْ الصوفيةُ بهذه المصادر، كتابَ الله - سبحانه وتعالى -، وسنةَ الرسول صلى الله عليه وسلم، وقدموها، عليهما عند التعارض، ومرتكبين - لذلك - مسالك التأويل، ومستطين مطايا الجدل بالباطل، حتى أفقد هذا الصنيع، الثقة عن تصريحهم، باتّباع الكتاب والسنة في أقوالهم، وأن علمهم هذا - يعني التصوف - مُقَيَّد بالكتاب والسنة .

وغالب الظن - والله أعلم - أنهم أرادوا بإطلاق هذه العبارات وأمثالها، دفع الشبهة عن أنفسهم، بتعييب العلماء لهم، مالو صرحوا بتقديم علوم الكشف على علوم الكتاب والسنة

لكن من هؤلاء من لم يحتشم عن التصريح بذلك، وقد بلغ الشطط ببعضهم مبلغاً ادعى معه الاستغناء عن التلقي من الكتاب والسنة، وعما منه، الأخذ عن الله - تعالى - إلهاماً، أو مناماً أو بعروج روحي إليه - عزوجل -، أو يدّعي سماع خطاب الله - تعالى - كما سمعه موسى بن عمران كليم الرحمن، أو يدّعي أخذ الشريعة عن النبي صلى الله عليه وسلم يقظةً أو منامًا .

فلا يكون الكامل - عند هؤلاء - محتاجًا لأخذ العلم من بطون الكتاب والطروس، والحال أنه يستمدها من معادنها الأصيلة .

وقد يكون بعض هؤلاء من الأميين، فيتصدر للمشيخة، ويتعلم عليه من برعوا في العلوم النقلية والعقلية، كالشعراني الذي اتخذ له شيخاً أمياً، وهو: - علي الخواص، يسأله عن أدق مسائل الشريعة، ويحكمها، وعللها، ويصدر عن رأيه. قال الشعراني عن شيخه هذا :- (ومنهم شيخي وأستاذي: سيدي: علي الخواص البرلسي رضي الله تعالى عنه ورحمه -، كان - رضي الله عنه - أمياً، لا يكتب ولا يقرأ، وكان - رضي الله عنه -، يتكلم على معاني القرآن العظيم، والسنة المشرفة، كلاماً نفيساً، تحير فيه العلماء ....)

بل وتجشم الشعراني تسطير هذه الجهالات في مدونات مفردة، ككتاب: (درر الغواص في فتاوى الخواص)، و(الجواهر والدرر).

وكذلك سطّر أحمد بن المبارك، قيادةً لشيخه الأمي الجاهل: عبد العزيز الدباغ، وفيما يظهر من ترجمة أحمد بن المبارك، ومسائلي لشيخه، أنه كان من العلماء، ومع هذا فهو يقول - معدّدًا مسموعاته عن شيخه الدباغ -: (... وهكذا سمعت منه من المعرفة بالله - تعالى - وعليّ صفاته، وعظيم أسمائه، ما لا يُكيَّف ولا يطاق ولا يدرك إلا بعطية الملك الخلاق، وكذا سمعت منه من المعرفة بأنبياء الله - تعالى -، ورسله الكرام - عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام -، ما تحسب بأنه كان مع كل نبي في زمانه، ومن أهل عصره، وأوانه، وكان سمعت منه المعرفة بالملائكة الكرام، واختلاف أجناسهم، ومراتبهم العظام، ما كنت أحسب أن البشر لا يبلغون إلى علم ذلك، ولا يتخطون إلى ما هنالك، وكذا سمعت منه من المعرفة بالكتب السماوية، والشرائع النبوية السالفة الأعصار، المتقادمة الليل والنهار، ما تقطع وتجزم إذا سمعته، بأنه سيد العارفين، وإمام أولياء أهل زمانه أجمعين. وكذا سمعت منه من المعرفة باليوم الآخر، وجميع ما فيه من: حشر، ونشر، وصراط، وميزان، ونعيم باهر، ما تعرف إذا سمعته أنه يتكلم عن شهود وعيان، ويخبر عن تحقيق وعرفان، فأيقنت حينئذٍ بولايته العظمى، وانتسبت لجنابه الأحمى ...)

وقال: (... فكل من سمعه يتعجب منه، ويقول: ما سمعنا مثل هذه المعارف، ويزدهم تعجبًا، كون صاحبها - رضي الله عنه -، أميًا، لم يتعاط العلم، ومن الذين أعرضوا عنه في الظاهر غاية الإعراض ...)

ولم يستح اللمطي أن يرقم في (إبريزه) ما أجاب به شيخه الأمي، عن مسائل كبار، اعتاصت على الوجوه الأساطين، والجهابذة من المحققين. فالله المستعان.)

وكثير من المتصوفة، يستدل على صحة أمور، اعتمادًا على ما يذوقه، وما يجده في نفسه، فيبني بمجرد ذلك، ويقدمه على الكتاب والسنة. والحاصل: - أن الأخذ بهذه المصادر، يعني نبذ الكتاب والسنة وطرحهما، وعدم الاحتكام إليهما، وفتح باب التلاعب في شريعة الله، والتفصّي من أحكام الملة، اتكاءً على هذه الدعاوى العريضة.

والصوفية يعتمدون الكشف مصدرًا وثيقاً للعلوم والمعارف، بل ويجعلونه غاية لذاتها، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، بأن عبادة الصوفية، هدفها تحصيل المكاشفات، والتأثيرات.

ومن الأقوال الشنيعة المغربية بنبذ علوم الكتاب والسنة، قول أبي الفضل الأحمدي: (لا تقطعوا بما علمتموه من الكتاب والسنة، ولو كان حقًا في نفسه)، وما أكثر الأقوال في هذا الباب!!.
فالأخذ - عندهم - للعلوم عن طريق الكشف آخذ لها من معادنها الربانية، ولذلك اعتبر الغزالي، علوم المكاشفة موصلة إلى اليقين، وعلل بذلك ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية، دون التعليمية، فلم يحرصوا على دراسة العلم، وتحصيل ما صنفه المصنفون، والبحث عن الأدلة والأقاويل.

والكشف الصوفي جنس تحته أنواع، وكل نوع يحتمل أنواعاً، وهي بجملتها تتناول الكشف عن الأمور الشرعية، والكونية، وكل ما يصح أن يكون موضوعاً للمعرفة - بما في ذلك، أسماء الله - تعالى - وصفاته. (1)

ونشير هنا إشارة إلى كل نوع منها مختصرًا.

أولاً :- الكشف

تعريف الكشف :- هو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية، وجودًا وشهودًا.

وقال السراج :- (الكشف :- بيان ما يستتر على الفهم، فيكشف عنه للعبد كأنه رأي العين).

وقال حسن رضوان :-

فالكشف رفع ظلمة الحجاب ... عن قلبه ونفي الارتياب
فنحن بيقين كل أمر ينكشف ... لا نحن، والانكشاف يختلف.

والحجاب الظلمانية التي تحول بين القلب ورؤية الحقائق :- هي الشهوات، وعلائق الدنيا، بل ورؤية الإنسان لنفسه، وإحساسه بأنه كائن موجود، فلابد له لتنقشع الحجاب الظلمانية المسدلة على عين القلب - أن يتطهر من شوائب الحس، وأردان المادة، ويسلك

(1) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية : ص :- ١٨٣ - ١٨٧.

-سبل المجاهدة، حتى يبلغ مرتبة الفناء، والمراد بالأمور التي يدركها القلب، كل حقائق الوجود :- العلوية والسفلية، ثم هذا الانكشاف يبدأ بالمحاضرة، وهي أول مراتب رفع الحجاب، وينتهي بالمشاهدة، وهي أقصى مراتب الكشف وهو:- المعرفة بالله، وصفاته، وأفعاله، وأسرار الملكوت في أكمل رتب المعرفة.

قلت :- وكما أن القلب - عندهم - يدرك حقائق الأشياء على ما هي عليه، فكذلك للبصر عندهم - نصيب من ذلك، ينبغي أن نراعي في التعريف العام للكشف، فالقوم متصرحون بإمكان إدراك صور العوالم العلوية والسفلية، عيناً، كرؤية الملائكة، والإطلاع على اللوح المحفوظ، ورؤية الأنبياء يقظة بعد موتهم، وغير ذلك من الأمور التي يدعون رؤيتها عياناً، فليس الكشف مختصاً بالقلب فقط.

ثم إن هذا الكشف لا يقتصر على الأمور الكونية المجردة، بل يشمل :- الكشف عن الأمور الشرعية أيضاً، كمعرفة احكام الشرعية، بأخذها عن طريق الإلهام، أو شفاها عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الخضر (عليه السلام)، أو بوسائل أخرى، تدخل كلها ضمن مسمى الكشف ومعناه العام. (١)

أنواع الكشف :-

الكشف لفظ عام، يشمل الأمور الكونية والشرعية، ويدخل تحت مسماه أنواع، ولهذه الأنواع والأقسام تفصيلا هي :- الرؤية اليقظية للأنبياء والأولياء بعد موتهم، والرؤى المنامية، ورؤية الخضر - عليه السلام - والإلهام، والفراسة والهواتف، والمعاريج، والإسراءات والكشف الحسي أو الصوري :- بمعنى خرق الحجب الحسية، والإطلاع على المغيبات اما بعين البصيرة، أو بعيني البصر.

ومما يدل على دخول هذه الأقسام في مسمى الكشف، قول الشيخ الإسلام ابن تيمية - أثناء كلامه عن الخوارق والكرامات :- (فما كان من الخوارق من باب العلم، فتارة بأن يسمع العبد مالا يسمعه غيره. وتارة بأن يرى مالا يراه غيره :- يقظة ومناماً. وتارة بأن يعلم مالا يعلم غيره :- وهباً والهاماً، أو إنزال علم ضروري، أو فراسة صادقة.

(١) المحاضرات العامة للتلقي عند الصوفية : ص :- ٢٠٧ - ٢٠٩.

ويسمّى كشفاً ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات: فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويُسمّى ذلك كله: - كشفاً ومكاشفة، أي كُشف له عنه)

هناك تقسيم آخر للكشف تظهر موضوعاته والأمور المستفادة من كل نوع منها، وقد ذكره ابن عربي، وهو:-

الكشف العقلي: - به تنكشف معاني المعقولات، وتظهر أسرار الممكنات، ويسمى أيضاً :- بالكشف النظري.

الكشف السرّي: - ويكشف عن أسرار المخلوقات، وحكمة خلق الموجودات، ويسمى :- إلهاماً.

الكشف القلبي: - وفيه تنكشف أنوار مختلفة خاصة بالمشاهدة.

الكشف الروحي: - ويشمل الكشف عن الجنات والجحيم، والمعاريج والإسراءات الروحية، ورؤية الملائكة، وإذا صفا بالكلية تظهر العوالم غير المتناهية، ويرتفع حجاب الزمان والمكان، ويحصل الاطلاع على أخبار الماضي والمستقبل، والأمور الخفيات.

الكشف الصفي: - وهو أن ينكشف الله - تعالى: - إما بالجلال، وإما بالجمال، على حسب المقامات والحالات، ويسمى أيضا: - كشفا حقانياً، فإن انكشف بصفة العالمية، تظهر العلوم الدينية وإن انكشف بصفة السمعية، يظهر استماع الكلام والخطاب. وإن انكشف بصفة البصرية، تظهر الرؤية والمشاهدة، وإن انكشف بصفة الجمال، يظهر شوق شهود الجمال، وهكذا.

ثم إن هذه المكاشفات تكون في ثلاثة أحوال، وهي: حالة النوم، وحالة اليقظة، وحالة متوسطة بينهما.

فالحالة الأولى، وهي النوم: - يدخل فيها من أنواع الكشف، والرؤى المنامية، والهواتف، والخضر - عليه السلام -، والمعاريج والإسراءات.

والحالة الثانية، وهي اليقظة: - يدخل فيها من أنواع الكشف، رؤية النبي ﷺ، والهواتف، ورؤية الخضر - عليه السلام -، والإلهام، والفراسة، والكشف الحسي أو الصوري (أي الكشف عن الأماكن البعيدة والقريبة)، والإسراءات والمعاريج.

والحالة الثالثة: - وهي النوم واليقظة: - يدخل فيها من أنواع الكشف، رؤية النبي ﷺ، والهواتف، والمعاريج والإسراءات، والكشف الصوري.

فهذه الجماعة عامة مختصرة، عن الكشف بأنواعه، وسيخصّ كل نوع منها بكلام مستقل، باتباع الترتيب الآتي:- رؤية النبي صلى الله عليه وسلم:- يقظة بعد موته، ثم الخضر - عليه السلام - يليه:- الإلهام، والفراسة، ثم الهواتف، فالإسراءات والمعاريج، فالكشف الصوري، وآخراً:- الرؤى المنامية.

أولاً:- رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته:-
التلقي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، يقظة بعد موته، يُعتبر من أوثق المصادر التي يستقي منها الصوفية، علومهم ومعارفهم.

وقد أفحمت وأترعت كتب التراجم الصوفية، الجامعة والمفردة:- بذكر ما تمّ بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم، من السؤالات، والمباحثات، والمصافحات، والمبايعات، وغير ذلك من الأمور.

وقد نص على هذا الأخذ والإستمداد غير واحد منهم، كالغزالي الذي يقول عن أرباب الأحوال:-(... حتى إنهم في يقظتهم، يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد ....).

وكالشعراني، الذي أخبر أن جماعة باليمن يشغلون المريد، بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم: (فلا يزال يكثر منها، حتى يصير يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم، يقظة ومشافهة، ويسأله عن وقائعه، كما يسأل المريد شيخه من الصوفية، وأن مريديهم يترقى بذلك في أيام قلائل، ويستغني عن جميع الأشياخ، بتربيته صلى الله عليه وسلم)

وقال أيضا:-(فهو الشيخ الحقيقي لنا بواسطة أشياخ الطريق، أو بلا واسطة لمن صار من الأولياء يجتمع به في اليقظة بالشروط المعروفة بين القوم، وقد أدركنا - بحمد الله - جماعة من أهل هذا المقام...)

وقال محمد العربي التبّاني:(.... رؤيته صلى الله عليه وسلم بعين الرأس، في عالم الحس، وما يتبعها من الأخذ عنه، وسؤاله عما يعرض، ومشاورته في الأمور، ونحو ذلك، كل ذلك ممكن عقلاً، ثابت نقلاً....)

وقال الكواكبي:- (وقد تواتر، أن كثيراً من الأولياء.... رآه صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه، ←

واستفادوا منه)

وقال أبو العباس المُرْسي :- (طريقنا هذه صعبة ، وقد يهذب الله - تعالى - العبد إليه ، فلا يجعل عليه مِنَّةً لأستاذ ، وقد يجمع شمله برسول الله ﷺ ، فيكون آخذًا عنه ، وكفى بهذا مِنَّةً ....)

ولهذا الاجتماع اليقظي ، منزلة عظيمة عندهم ، ومما جاء في ذلك :- نظما :-

ومنه رؤية النبي الهادي وهي لديهم غاية المُراد .

وقال الشعراني :(... وسمعت سيدي :- عليا الخوّاص - رحمه الله - يقول :- لا يكمل عبد في مقام العرفان ، حتى يجتمع برسول الله ﷺ ....)

وقال الربّاخ : (الذي هو أفضل وأعز من دخول الجنة ، فهو رؤية سيد الوجود ﷺ في اليقظة ، ... فهي أفضل من الجنة)

ولأهمية الرؤية اليقظية عندهم ، فقد أفردوها بتصانيف ، من أشهرها :- (تنوير الحلك في جواز رؤية النبي والملك .) ، للجلال السيوطي ، وقد أخذ بعض مادة كتابه هذا ، من كلام لابن أبي جمرة ، في الموضوع ذاته ، من شرحه لأحاديث منتقاة من صحيح البخاري المسمى (بهجة النفوس) حين تعرض لشرح أحاديث رؤية النبي ﷺ منامًا .

كما أن المصنفين والباحثين هذا الموضوع ، بعد عصر السيوطي ، غالب بحوثهم ومصنفاتهم مُستلّ من كتاب (تنوير الحلك) هذا ، كما يُعلم هذا بالاطلاع عليها . (١)

ثانيًا :- لخضر عليه الصلاة والسلام :-

من تصفح كتب الصوفية ، يجد أن شخصية الخضر - عليه السلام - حظيت لديهم ، باعتناء بالغ ، بحيث أصبح الأخذ عنه ولقياه - عندهم - أمرًا لا يقبل الاجتاج ، بل واستفاضت الأخبار وتواترت عنهم بذلك . قال ابن عطاء الله السكندري : (واعلم أن بقاء الخضر قد أجمع عليه هذه الطائفة ، وتواترت عن أولياء كل عصر لقاؤه ، والأخذ عنه ، واشتهر ذلك إلى أن بلغ الأمر حد التواتر الذي لا يمكن جحده ، والحكايات في ذلك كثيرة ....) .

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية : ص :- ٢١٨ - ٢٢٨

وقال الإمام النووي :(... وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه، وسؤاله، وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة، ومواطن الخير، أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يستر...)

وقال إسماعيل حقي، عن لقيا الصوفية للخضر :(... حكاياتهم أنهم رأوه في المواضع الشريفة، وكالصوم، أكثر من أن يحصى....)

وقال اليافعي عن هذه الحكايات والاجتماعات :(... لأنه الصديقين -رضي الله عنهم-، لم يزالوا في كل زمان يخبرون أنهم اجتمعوا به.
وذلك مشهور مستفيض عنهم، ومروي عنهم في الكتب المشهورة، التي رواها العلماء والثقات ....)

وقد ولعت الصوفية وكلفت، بإسناد شرائعهم المخترعة وأباطيلهم الملفقة، إلى الخضر -عليه السلام-، باعتباره أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولقيه، وأخذ عنه علوماً جمة، وحقائق عرفانية، فهو على هذا، صحابي كغيره من الصحابة، فإذا ثبت له شرف الصحبة، وثبت بقاؤه إلى آخر الزمان، فالأخذ عنه غير منكور، والقول بجوازه بل بوقوعه غير محجور، لذا تمادت الصوفية بحياته واستمرارها إلى آخر الزمان، وأكثروا بجلب الأدلة في هذا الصدد.

ولما أن كان الأمر -عندهم- كذلك، فإبطال أن الخضر أدرك زمن الرسالة المحمدية، أي أنه باق إلى آخر الزمان، مطلب مهم وسيتبين بالأدلة أنه متقادم الموت، لم يدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم.

ولعل من متممات ذلك، إقامة الأدلة على نبوته، خلافاً لمن هرع بولايته، فقد يذرع بدعوى ولايته، بعض من يقول بتفضيل الولي على النبي، كما أن بعض الصوفية بنوا على القول بولايته، جواز خرق الولي لسياج الشريعة، إسناداً على حكم الإلهام، نظير -ما ادعوا- أن الخضر قد فعل بمخالفته ظاهر شريعة موسى -عليه السلام-.

قال اليافعي :-(... فلو أن الله -تعالى- أذن لبعض عباده أن يلبس ثوب حرير مثلاً، وعلم العبد -مثلاً- ذلك الإذن يقيناً فلبسه لم يكن منتهكاً للشرع. فإن قيل: من أين يحصل

له علم اليقين ؟ قلتُ :- من حيث حصل للخضر - عليه السلام - ، حين قتل الغلام ، وهو ولي لا نبي على القول الصحيح عند أهل العلم ...)

أما عن الخضر : فقد اختلف في نسبه ، على عشرة أقوال ، ليس في أحدها شيئ مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وهذه الأقوال تراها مبسوطة في كتاب (الزهر النضر في حال الخضر)

أما سبب تسميته (الخضر) ، فكما جاء في بعض الأحاديث أنه جلس على فروة بيضاء ، فإذا هي تهتز تحته خضراء . وقال ابن كثير :- (قال الخطابي :- إنما سمي الخضر خضرًا ، لحسنه وإشراق وجهه . قلت :- هذا لا ينافي ما ثبت في الصحيح ، فإن كان ولا بد من التعليل بأحدهما ، فما ثبت في الصحيح أولى وأقوى ، بل لا يلتفت إلى ما عداه .....) -

وكنية الخضر :- أبو العباس ، (١)

ثالثًا :- الإلهام :-

وهو إيقاع شيئ في القلب يثلج له الصدر ، ويطمئن ، ويسكن ، من غير استدلال بآية ، ولا نظر في حجة ، يَخُصُّ به الله - تعالى - بعض أصفيائه .

وقد يُسمَّى بالعلم اللدني . قال الإمام ابن القيم (... والعلم اللدني :- هو العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهامًا بلا سبب من العبد ، ولا استدلال ، ولهذا سمي لدنيا ....) (٢)

وقد جعلوا الإلهام طريقين :-

إحداهما :- حصوله عن طريق الملك . وقد اختلفوا في مشاهدة الولي الملك حال إفادته إياه بالعلم ، وغلط بعضهم فيها بعضًا .

ومن غاليتهم من يقول : بنزول جبريل - عليه السلام - ، على الولي المفتوح عليه ، وأن الأولياء يستشيرونه .

لكن الإلهام من هذا الوجه قاصر في مرتبته عن المرتبة الأخرى وهي :-

---

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية : ص :- ٢٤٨ - ٢٥١ .

(٢) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية : ص :- ٢٦٦ .

ثانيهما :- حصولها - أي الإلهام - من الوجه الخاص بين الله - تعالى وتقدس -، بين العبد، بارتفاع الوسائط وهي أشرف من سابقتها، ومن هذا الباب ولج من يدعي تفضيل الولي على النبي والرسول، لأن الولي - في اعتقاده - يأخذ العلم من حيث أخذه الملك الذي يوحي به إلى النبي فالنبي يأخذ عن الله بواسطة الملك، والولي يأخذ عن الله بلا واسطة. (١)

رابعاً :- الفراسة :-

ولهم في تعريفها أقوال كثيرة، لكن الإستعمال الأشهر لها، أنها تختص بمعرفة خواطر النفوس، وأحاديثها، وما يضمره المرء في قلبه من ضمائر. فالولي - عند هؤلاء - أعطي من النور، ما له به الإشراف على القلوب ومعرفة كوامن النفوس.

الحكايات التي جاءت تحت هذا الباب (الفراسة)، غالبها يدور على معرفة الخواطر والضمائر وأحاديث النفس، فقد ساق القشيري تحت هذا الباب سبعة وعشرين حكاية خمسة عشر منها، تختص بمكاشفات الضمائر، والخوطر، وأما الكلاباذي، فقد ساق تحت هذا الباب، ثلاث حكايات، جميعها - بلا استثناء - تختص بمعرفة الضمائر والخواطر.

ورد في بعض التعريفات الآنفة الذكر، كقوله من قال: (فيتكلم على ضمير الخلق) أو (... فتنطق عن أسرار الخلق ...)، أو (الإطلاع على ما في ضمائر الخلق)، بل وقال الغزالي (... وما حكي من تفرس المشايخ، وإخبارهم عن اعتقادات الناس، وما ضمائرهم يخرج على الحصر ...) وقال أيضاً :- (... وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء، يقع الإطلاع على ضمائر القلوب، وقد يعبر عن ذلك الإطلاع بالتفرس.)

والفراسة عند الصوفية، من جملة الوسائل التربوية التي تعتمد على ملاحظة الأشياخ لبواطن المريدين، والكشف عن خواطرهم، لتنبيههم على ما يحسن الوقوف معه من هذه الخواطر، وما ينبغي إطّراحه، قال السهروردي: (فالشيخ إشراف على البواطن، وتنوع الإستعدادات، فيأمر كل مريد من أمر معاشه، ومعاده بما يصلح له ...)

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية : ص :- ١٩٠.

وقال علي بن وفا: (إذا اعتقدتَ في أستاذك أنه هطلع على جميع أحوالك، فقد عرضت عليه صحيفتَكَ فقرأها)

وسُئل الجنيد عن العارف؟ فقال: (من نطق عن سرك وأنت ساكت).

فيجب على المريد حال تسلّكِه على يد أستاذ، أن يعتقد فيه علمَه بدواخله ومكامن صدره، وألا يباح هذا الاعتقاد، وإلا منع بركة الشيوخ، وكان في عداد المحرومين!! (١)

خامسًا: - الهواتف:-

ومعناه سماع الخطاب بواسطة الأذن، وقد يكون منامًا، أو في حالة بين النوم واليقظة، أو في اليقظة - بصوت مسموع - يسمع الصوت ولا يرى صاحبه، ولا يخلوا أن يكون المخاطب إما: الله - سبحانه وتعالى - أو ملك من الملائكة، أو جن صالح، أو ولي من الأولياء، أو الخضر - عليه السلام -، أو إبليس.

والهواتف - عند الصوفية - من أسباب تصحيح المعاملات وتزكية النفوس، وتلقي المعرفة.

أما الحكايات في ذلك، فخارجة عن الحصر، كما اعترف به الغزالي واعتناء دواوين التصوف بتسجيل هذه الواقعات التي اتفقت لهم أو لمشايخهم، أو لغيرهم من المترجمين: - دليلٌ على ما لهذه الهواتف من الشأن والمنزلة عندهم، فهي تنبههم على آفات النفوس، وترشدهم إلى تصحيح المعاملات، ثم هي مصدر لأنواع من المعارف الثرّة، لا تقل من حيث الأهمية عن الإلهام، أو الفراسة، أو غيرهما من المصادر الأخرى.

والهواتف - عند الصوفية - أنواع، وهو لا يخلو إما يكون: - مَلَكًا أو وليًا من الأولياء أو جنًا صالحًا أو الخضر - عليه السلام. أو الله - عز وجل -، أو إبليس - لعنه الله -.

ودرجات سماع هذا الهاتف، إما: -

يقظة، ويعرف كونه كذلك، بورود مجرّدًا عن الإضافة أو التخصيص، فيقول مثلاً: - سمعت هاتفًا يقول: - كذا وكذا. وغالب حكاياتهم من هذا الضرب.

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية: ص: - ١٩١ و ٢٨٠ - ٢٨٢.

أو منامًا، كما ورد في ترجمة أحمد البدوي، أنه سمع الهاتف في المنام يقول له: (يا أحمد سِرْ إلى طنتا، فإنك تقيم بها، وتربّي بها رجالًا، وأبطالًا).

أو يكون بين اليقظة والمنام، كما في قول الشعراني: - (...أخذتني حالةٌ بين النائم واليقظان فسمعتُ هاتفًا...).

أكثر ما يستفيدونه من الهاتف، تصحيح الأحوال، والمعاملات، والتنبيه على الآداب المتعلقة بالعبودية، والإرشاد إلى الفضائل ومعالي الأخلاق. وغير ذلك من الأمور.

قال الشعراني: (وقد كنتُ قديمًا أظن أن الأمر بالمعروف ينافي التسليم، فسمعت هاتفًا على لسان الحق -تعالى-، يقول: إذا شهدتَ الأمرَ منّي وحْدي، سلّمْ ولا تنازعني، وإذا شهدتَ من غيري أنكر عليه ما خالف أمري....).

وهو يريد بهذا، تقرير عقيدة الجبر، وعقيدة وحدة الفاعل، التي يدين بها بعض الصوفية. (١)

سادسًا: - الإسراءات والمعاريج الصوفية: -

ويعنون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي، وجولانها هناك، وإتيانها بعلوم شتى، من أسرار الأكوان، وعجائب المكونات، وإفاضة العلوم عليهم هنالك بواسطة الأنبياء والملائكة، وبلوغ منتهى الأرب بالفناء في ذات الله -تعالى-، والتحقيق بعين الجمع.

ومما يلاحظ على هذه الإسراءات والمعاريج، محاولة أصحابها محاكاة إسراء ومعاريج النبي ﷺ، مستخدمين في ذلك، لغة الرمز الصوفية، ومن المؤلفات في هذا، كتاب (الإسراء إلى مقام الأسرى) لابن عربي.

ومن أحوال المعراج، والإسراء الصوفي ما يأتي: -

(١) عزو الشعراني إلى المحققين من الصوفية أن المعراج يكون بمثابة المنام يراه النائم، غير أنه لم يوضح، أيكون ذلك منامًا أو في حالة غيرها؟

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية: - ص: - ١٩١ و ٢٨٧ - ٢٨٩.

لكن صرّح أبو يزيد البسطامي أنه قد عُرج به إلى السماوات في المنام، ونص كلامه: (... إني رأيت في المنام، كأني عرجت إلى السماوات تاصداً إلى الله ....) فمقتضى ذلك أن يكون المنام أحد أحوال إسراءاتهم ومعارجهم المزعومة. وهذا ما صرّح به القشيري.

(ب) بين النوم واليقظة: - كما في مطلع إسراء ابن قضيب البان، ولفظه هناك: (أوقفني الحق على بساط الإسرا المنيع، وكنت في حرم الافتقار للرؤيا بين النوم واليقظة منجيعاً ....)، وكما صرح به القشيري في كتابه المعراج.

(ج) يقظة بالروح والجسد، على غرار معراج الرسول (صلى الله عليه وسلم).

(د) أحوال أخرى ذكرها ابن عربي، وهي: - أن المعراج يكون بروح الإنسان وخاطره، بانفصال الروح عن الجسد الترابي بلا انفصال موت، بل عن طريق الفناء، أو يكون المعراج عبارة عن قوة نظر يُعطاها الإنسان، وجسده في بيته، وهو غائب عن جسده بالفناء، أو لا يكون فانياً عن جسده ويُعطى قوة النظر (١)

سابعاً: - الكشف الحسي: -

والمقصود منه، الكشف عما وراء الحجب الحسية، العلوية والسفلية، والاطلاع على حقائق الموجودات - من العرش إلى الفراش - بالعين البصيرة.

ويظهر لي - والله أعلم - أن مرادهم بالكشف من حيث الإطلاق، هذا النوع خصوصاً، ولا سيما إذا قرن - في الذكر - بغيره من أنواع الكشف، كأن يقال مثلاً: - (الكشف والفراسة والإلهام: من أسباب العلم عند الصوفية.)

وقد يدل على ذلك، قول عليّ الخوّاص - شيخ الشعراني - (ومرادنا بهذا الكشف هو كشف العلوم والمعارف الحاصل بالنفث في الروع، لا لكشف المعهود في الحس بين أرباب الأحوال).

فإن العلوم ليست محسوسة، حتى يكشف عنها، كما يكشف عن الأماكن البعيدة في الكشف الصوري).

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية: - ص: - ١٩١ و ٢٩٨.

فهذا يدل على أن الإلهام والنفث في الروع يسمى كشفاً، لكن الكشف المعهود في الاستعمال عند الصوفية، هو ما سماه بالكشف الصوري، الذي هو: - الكشف عن الأماكن البعيدة. ومشاهدة صورها، واختراق الحجب الحسية التي دونها.

أما أنواعه فالكشف الحسي بالبصر: - نوع، وبالبصيرة: - نوع آخر، وعلى هذا، فله نوعان: -

أما النوع الأول - الواقع بالبصر - فقد تكلم الدباغ عن مقاماتيه فذكر أن المفتوح عليه في المقام الأول: - يشاهد أحوال العباد في خلواتهم، ويشاهد الأرضين السبع والسماوات السبع، والنار التي في الأرض الخامسة !! وهي نار البرزخ وفيها أرواح أهل الشقاوة ويشاهد أيضاً، اشتباك الأرضين بعضها ببعض، وما تمتاز به كل أرض عن الأخرى، والمخلوقات التي في كل أرضٍ منها، ويشاهد اشتباك الأفلاك بعضها ببعض، ويشاهد الشياطين، والجن، ومساكنهم، وغير ذلك من أنواع المشاهدات.

وفي المقام الثاني يشاهد الملائكة والحفظة، والديوان، والأولياء الذين يحضرون ويشاهد مقام عيسى، ثم مقام موسى، ثم مقام إدريس، - عليهم السلام -، ويشاهد مقام غيرهم من الأنبياء، ويرى الملَك على أصل خلقته، ثم يشاهد مقام نبينا محمد ﷺ.

وفي مقام الثالث: يشاهد أسرار القدر.

وفي المقام الرابع: - يشاهد النور الذي ينبسط عليه الفعل، وينحل فيه، كانحلال السكر في الماء !! فالفعل كالسكر، والنور كالماء، وهذا المقام - كما يدعي - يقع فيه الغلط لكثيرين حيث يظنون أن ذلك النور هو الله - سبحانه وتعالى.

ثم يوصل هذا بأنه، فيدّعي أن المفتوح عليه يشاهد في المقام الخامس: - انعزال الفعل عن ذلك النور !! فيرى النور نوراً، والفعل فعلاً، ويظهر له الغلط فيما ظنه أولاً.

فالولي - في ظنه واعتقاده - لا يغيب عنه شيئ من عالم أهل الأرض وغامرها، ولا يحجب عن أحوال أهل الملكوت، وقد أفصح عن هذا الإعتقاد القبيح بقوله: - (ما السماوات السبع والأرضون في نظر العبد المؤمن إلا كحلقة ملقاة في فلاة).

وأما النوع الثاني :- فهو مختص ببصر القلب ، قال أحمد الرفاعي :- (الكشف :- قوةٌ جاذبة بخاصيتها نورَ العين البصيرة ، إلى فيض الغيب ....) ، وقال الغزالي : (ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله ، تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه ....) .

ودرجات هذا التجلي - كما يصوّره الغزالي :- (يكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ، ثم يعود ، وقد يتأخر ، وإن عاد ، فقد يثبت ، وقد يكون مختطفاً ، وإن ثبت قد يطول ثباته ، وقد لا يطول ، وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق ، وقد يقتصر على فنٍ واحد ، ومنازل أولياء الله - تعالى - فيه لا ينحصر ، كما لا تحصى خلقهم وأخلاقهم .) (١)

ثامناً :- الرؤى والمنامات :- وهو مصدر مهم بنوا عليه كثيراً من ترهاتهم ، وروّجوا به الضلالات ، كما زعم ابن عربي أنه لما صنف كتابه (فصوص الحكم) أمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخرج به إلى الناس ، لينتفعوا به .

وقد يعتمدون على المنامات لمعرفة صحيح الأحاديث النبوية من سقيمها ، أو معرفة الأحكام الشرعية ، وأمور أخرى غير هذه .

والرؤى المنامية من أجال النظر في (ساحات دواوين) الصوفية ، وما ذكروه من الأقاصيص والحكايات في شأن الرؤى المنامية :- سلك بي النظر ، أنهم يعوّلون عليها في المطالب الدينية ، ويُعملونها في بعض المسائل التي تجاذبت فيها الأدلة وتعارضت ، ويستندون عليها في أمور أخر .

ومن دلائل عنايتهم بالمنامات : أن عقدوا لها أبواباً في مصنفاتهم ، كالقشيري في (رسالته) والكلاباذي في (التعرف) ، وساقوا تحتها جملةً من الحكايات .

وقد نصّ على استناد الصوفية على المنامات ، الإمام الشاطبي قائلاً :- (وأضعف هؤلاء احتجاجاً ، قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها ، فيقولون :- رأينا الرجل الصالح فقال لنا :- اتركوا كذا ، واعملوا كذا .

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية : ص :- ٣٠٤ - ٣٠٧ .

ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: - رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في النوم، فقال لي: - كذا، وأمرني بكذا. فيعمل بها ويترك بها، فيعمل بها معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة.)

ومما جاء من عبارات بعض الصوفية في العمل بالرؤى والمنامات، قول أحمد بن إدريس: (... من رأى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقد رآه حقاً، وإن كان على غير صورته، وإذا أمره، أو نهاه عن نهي، فإن كان في الصورة المنعوت بها - صلى الله عليه وسلم -، فما أمره في النوم: كأمره في اليقظة، وأنه يتبع، وكذلك ما نهى عنه ...)

وقال الشبلي: (سمعت الحق يقول لي: من نام غفل، ومن غفل حجب، وكان هذا سبب اكتحالي بالملح حتى لا أنام) .

أنواع المنامات والرؤى: -

أكثر ما يعولون عليه في الاستمداد من هذه الرؤى، رؤية الله - سبحانه وتعالى - ورؤية نبيه - صلى الله عليه وسلم - مناماً .

وقد يستمدون عن أشياخهم، أو عن غيرهم .

لكن غالب اعتمادهم على رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم -، مناماً، فيتحرون العمل بموجبها أيما تجري، وهو عندهم من الأدلة الناهضة لفك كثير من المسائل المشكلة .

ونحا البعض منهم، أن الرائي لو رآه - صلى الله عليه وسلم - على أي حالة كانت، فقد رآه، وإن لم يكن رآه على صورته الحقيقية، فهذه مرتبة من مراتب رؤيته - صلى الله عليه وسلم -، ورؤيته على صورته الحقيقية، مرتبة أخرى. وعند أحمد بن إدريس، أن من رآه - صلى الله عليه وسلم - على غير صورته الحقيقية، فأمره أو نهاه لا يتبع بخلاف ما لو رآه على صفته الحقيقية. وعند ابن عربي أن من رآه - صلى الله عليه وسلم - مغايراً للصورة التي كان عليها في الدنيا ومات عليها، فلا يأخذ بما تأتيه هذه الصورة به من الأحكام إن اقتضى ذلك نسخ حكم ثابت بالخبر المنقول الصحيح المعمول به، بخلاف ما لو رآه على صورته، فيلزم - عنده - رائيه أن يأخذ بما يأتيه به من الأحكام ولو كان ناسخاً لحكم ثابت معمول به، ولا يلزم غيره ذلك. (١)

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية: ص: - ١٩٢ و ٣٠٩ - ٣١٣ .

أدلة الكشف :-

الأدلة التي يستشهد بها الصوفية . ويستندون إليها ، لإثبات الكشوفات :- أنواع ، منها :- الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والآثار ، والتجارب ، والقصص والحكايات ، وغير ذلك .

وقد أورد الغزالي مبحثاً في الإحياء بعنوان : بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ، ولا من الطريق المعتاد . وساق تحته ، ما يراه من شواهد يؤيّد دعواه . واستدل بالتجارب والحكايات . وأما الأدلة والحكايات التي ساقها في هذا المبحث من حيث العموم ، فتتناول الكشف من حيث العموم أيضاً ، وبعض الأدلة الخاصة ببعض الأنواع ، كالفراسة ، والإلهام ، والكشف الحسي .

وقد قال - بعد إيراده بعض هذه الشواهد :- (فهذه شواهد النّقل ، ولو جُمع كل ما ورد فيه من الآيات ، والأخبار ، والآثار ، لخرج عن الحصر) .

وقال أيضا : (وأما مشاهدة ذلك بالتجارب ، فذلك أيضاً خارج عن الحصر ..) وقال (وما حُكي من تفرّس المشايخ ، وإخبارهم عن الاعتقادات الناس وضمائرهم ، يخرج عن الحصر ، بل ما حُكي عنهم من مشاهدة الخضر - عليه السلام - ، والسؤال منه ، ومن سماع صوت الهاتف ، ومن فنون الكرامات ، خارج عن الحصر ...)

ولو أن كان الأمر كذلك : فإنّ المناسب ، هو الاقتصار على أبرز هذه الدلائل والشواهد ، وبخاصة دلائل وشواهد الكتب والسنة ، أمّا الآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم فقد يُذكر منها الأثر والأثران أو أكثر من ذلك أحياناً ، وقد لا يذكر شيئاً من ذلك البتة ، لأن العصمة عنها منتفية ، ما لم يكن ذلك إجماعا ، وأحياناً قد يذكر غيرها من أنواع الاستدلالات .

كما أنه لا تعويل على الحكايات ولا على غيرها :- كالتجارب ، والمنامات ، لأنها ليست بأدلة شرعية ، يأثم المرء بجحدها ، وكذلك الأقوال المجردة عن الأدلة ، ولا تعويل عليها .

كما لا تعويل على دعوى الصالحين لشيء من ذلك . وقد أجاب الشيخ محمد الخضر الشنقيطي عن الذين طلبوا إثبات الرؤية اليقظية للنبي - صلى الله عليه وسلم - بعد موته ، بدعوى الصالحين لها وتواتر ذلك عنهم :- أجاب عن ذلك بأن : (دعوى الصالحين لها ، ليس دليلاً ←

-شرعيًا).

وسنورد هنا بعض الأدلة لما يطول الفصل :-

أولًا :- رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته :-

ساقوا بعض الأدلة التي نصّت على حياة الأنبياء، واستفادوا منها :- إثبات الحياة الحقيقية لهم، كما هو الشأن في حياتهم الدنيوية بلا فرق، بل حياتهم الأخروية أتم وأكمل، وسائر الإدراكات ثابتة لهم كذلك، فهم - عندهم - كسائر الأحياء، ردّت إليهم أرواحهم بعد مفارقتها لأبدانهم. ومن أبرز هذه الأدلة :-

قوله تعالى :- (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)(١)

ووجه الاستدلال بالآية :- أن الأنبياء أولى بهذا الوصف من الشهداء، فالآية تشملهم بطريق الأولى.

واستدلوا بالأحاديث الواردة بحياة الأنبياء، كحديث :(الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)(٢)

وبحديث :(إن الأنبياء لا يُتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكنهم يصلّون بين يدي الله عز وجل - حتى ينفخ في الصور)(٣)

وحديث ابن عباس :- وقول الرسول - ﷺ - في شأن موسى :-(كأني أنظر إليه إذا انحدر في الوادي يلبي)(٤) وغيرها من الأحاديث.

واستدلوا بالآثار عن الصحابة - رضي الله عنهم - ومنها ما :-

روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه رأى النبي ﷺ في النوم، ثم دخل على عائشة مهمومة، فقص عليها رؤياه، فقامت فأخرجت له جبة ومرآة، وقالت :- هذه جبتك، وهذه مرآتك - ﷺ -، فنظر ابن عباس في المرآة، فرأى صورة النبي - ﷺ، ولم ير صورة لنفسه.(٥) وغيره من الآثار.

---

(١) سورة آل عمران الآية :- ١٦٩.

(٢) رواه البيهقي : ص: ١٥، ١٦، ١٧.

(٣) رواه البيهقي : ص: ١٨.

(٤) رواه البخاري. رقم الحديث :- 1000.

(٥) أورد هذا الأثر ابن حجر في بهجة النفوس ٤/٢٣٧، ولم يعزه إلى أحد، ونقله عنه السيوطي في تنوير الحلك : ٢/٤٧٤. واكتفى بعزوه إلى ابن أبي جمرة، ولم يذكر له إسنادًا.

ثانياً :- الخضر - عليه السلام :-

وقد وردت أحاديث نبوية تفيد بقاءه واستمرار حياته ، وورد عن بعض الصحابة أنه رآه وكالمه ، وكذلك ، وردت الآثار عن بعض السلف بذلك .

أما الأحاديث النبوية فلو صح منها حديث واحد ، فقد ثبت القول بحياته جزماً ، فالسر يعارض ذلك ما هو أقوى منه ، أما الآثار عن الصحابة ومن بعدهم ، فكما قال ابن كثير رحمه الله: (وقصارها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره ، لأنه يجوز عليه الخطأ) (١)

وعلى هذا ، فسيكتفى بذكر الحديثين واردين بهذا الشأن ، والله المستعان .

الحديث الأول :- ولفظه (إن الخضر في البحر ، واليسع في البر ، يجتمعان كل ليلة عند الردم ، الذي بناه ذو القرنين بين الناس ، وبين يأجوج ومأجوج ، ويحجان ويعتمران كل عام ويشربان من زمزمكم شربة تكفيهما إلى قابل) (٢)

الحديث الثاني :- ولفظه :- (يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم ، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ، ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات :- بسم الله ، ماشاء الله ، لا يسوق الخير إلا الله ، بسم الله ، ماشاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله .) (٣)

ثالثاً :- الإلهام :-

نص صاحب شرح المنار على احتجاج الصوفية بالإلهام ، وقولهم بجواز العمل به ، وأورد - دليلهم على ذلك ، وبعض هذه الدلائل أوردها أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين. فمنها : قوله تعالى :- (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (٤) أي عرّفها ، بالإيقاع في القلب ،-

(١) انظر : س البداية والنهاية :- ١/ ٣١١ .

(٢) عزاه الحافظ ابن حجر في الزهر النضر : ص: ٧٥ ، إلى الحارث بن أبي أسامة في مسنده ، وهو في المطالب العالية :- ٣/ ٢٧٨ : الأنبياء : - الخضر واليسع .

(٣) الحديث من رواية ابن عباس ، أخرجها أبو اسحاق إبراهيم بن محمد المزكي في (فوائده بتخريج الدارقطني كما في الزهر النظر : ص: ١٠٢ .

(٤) سورة الشمس :- ٨ .

-وكذلك : إذا جاز أن يلهم الله - تعالى - النحل كما في قوله : - (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ....)(١)، فإذا كان الله - تعالى - قد عرّفها مصالحها بلا نظر منها ، فالمؤمن أولى بذلك ، لأنه - تعالى - شرح قلب المؤمن بالنور، كما في قوله تعالى:- (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ...)(٢)

واحتجوا كذلك بالحرف الذي كان يقرأ به ابن عباس : (وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي ولا مُحدَّث)،(٣) قال الغزالي : - (يعني الصديقين، والمحدَّث هو الملهَم، والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل، لا من جهة المحسوسات الخارجة)(٤)

واستدلوا له بحديث : (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدَّثون، فإن يك في أمتي منهم أحد فعمر)(٥)

واحتجوا بحديث :- (ما حاك في قلبك فدعه وإن أفتاك الناس وأفتوك)(٦) ووجه الاستدلال بهذا الحديث ، أنه جعل شهادة القلب بلا حجب، أولى من الفتوى عن حجب .

رابعًا : - الفراسة : -

وقال أبو سعيد الخراز في معنى قوله - تعالى - (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ)(٧) (المتوسم هو الذي يعرف الوسم، وهو العارف بما في سويداء القلوب، بالاستدلال والعلامات ... التي يبديها على الفريقين، من أولياء وأعداء...) واستدل النوري على أصل تولد الفراسة بقوله - تعالى - (ونَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي...)(٨) فقال : (... فمن كان حظه من ذلك النور أتم، كانت مشاهداته أحكم، حكمه بالفراسة أصدق ...)

---

(١) سورة النحل : - ٦٨ .
(٢) سورة الزمر : - ٢٢ .
(٣) هذه القراءة عن ابن عباس ذكرها الإمام البخاري في صحيحه معلقة بصيغة الجزم: (٧/٤٢-فتح).
(٤) إحياء علوم الدين :- ٣/٣٤ .
(٥) أخرجه الإمام مسلم: (١٥/١٦٦ - نووي) .
(٦) رواه الإمام أحمد في المسند :- (٤/٢٢٢ ، ٢٢٨ كنز) . مطولًا ، مختصرًا .
(٧) سورة الحجر : - ٧٥
(٨) سورة الحجر :- ٢٩ ، وسورة ص :- ٧٢ .

واستدلوا بقوله - صلى الله عليه وسلم - (اتقوا فراسة المؤمن، فانه ينظر بنور الله) (١)

خامسًا :- الهواتف :-

مع ورود ذكر الهواتف في كتب التصوف، وكثرت الحكايات بذلك، فإني لم أر من استدل لها بدليل سوى الكلاباذي، فإنه بعد أن ساق تحت الباب المتعلق بها قصصًا، ختمها بقوله :- (ويشهد لصحة حال الهاتف ...) ثم سرد بإسناده عن عائشة - رضي الله عنها -، أنها قالت: (لمّا أرادوا غسل النبي - صلى الله عليه وسلم -، اختلفوا فيه، فقالوا :- والله ما ندري أنجرّد رسول الله من ثيابه، كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه، قالت :- فلما اختلفوا، ألقى الله عليهم السِّنَة، حتى ما بقي منهم أحد إلا وذقنه في صدره، ثم كلّمهم متكلّمٌ من ناحية البيت، لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه) (٢)

سادسًا :- المعاريج والإسراءات :-

لم ير ابن عربي ومن يقول بالإسراءات الروحية للأولياء، أنهم يقطعون بأجسادهم مسافات حسية في الفضاء، ويخترقون السماوات والأفلاك، بخلاف من ادّعى هذا من الصوفية.

ولم أجد لهم دليلا على ما سمّوه بإسراءات الأولياء الروحية، إلا ما ذكره ابن عربي بأن ذلك لهم - أي الإسراءات الروحية - بحكم الإرث للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وليس هذا الاستدلال بشيء، ولا أدري لِمَ لم يستدلوا له بالقاعدة التي يستندون عليها كثيرًا لترويج مخاريقهم، وهي أن: كل ما جاز معجزة لنبي، جاز أن يكون كرامة لولي. ولما سُئل القشيري عن الأولياء، هل يجوز أن يكون لهم معراج، إذا قلتم بجواز الكرامات؟ فأجاب :- بأن معراج البدن لم يُنقل عن واحد من الأولياء، ولم يُخبر واحدٌ عنه أنّه كان له، ولا يبعد أن يقال :- إن ذلك لا يكون لغير المصطفى بالإجماع، ولو قيل :- إنّ ذلك في الجواز، لكان مذهبا، وإلى وقتنا لم يخبر عن أحد أنه كان له ذلك.

قلت :- ولا شك - بالتأمل في هذا الجواب - أن مستنده في نفي ذلك، عدم النقل.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير :- (١ / ١٢١) حديث رقم :- ٧٤٩٧.
(٢) رواه الإمام أحمد :- (٦/ ٢٦٧ - كنز).

-الإجماع الذي لم يظهر تحقق منه، ثم هو أيضا لم يستبعد جوازه. فمسلكه في الجواب لم يخفى اضطرابه.

أما مستنده في وقوع المعارج للأولياء مناماً، أو بين النوم واليقظة:- فلتحققه بذلك بطرق لم يمكن جحدها عنده.

سابعاً:- الكشف الحسي:-

استدلوا بأن الولي يحصل عين اليقين بحديث حارثة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال له: (كيف أصبحت يا حارثة؟ قال:- أصبحت مؤمنا حقا. فقال: إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال:- عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي، وكأني أنظر إلى أهل الجنة، يتزاورون فيها، وكأني أسمع عواء أهل النار. فقال:- عرفت فالزم) (١)

قال الزمزمي بن محمد بن الصديق الغماري مستدلا بهذا الحديث:- (ففيه بيان مبدأ، طريق الصوفية، ونهايته، فإن حارثة -رضي الله عنه-، أخبر أنه جاهد نفسه بالقيام، والصيام، والتجافي عن دار الغرور، حتى منّ الله عليه بالوصول إلى عين اليقين.

والدليل عندنا:- في حق -عليه الصلاة والسلام- له على لزوم ما أخبر به أنه يجاهد بها نفسه من الصيام، والقيام، والزهد في الدنيا ....)

وقال أبو الحسن النوري: (الإتصال: مكاشفات الغيوب. ومشاهدات الأسرار:- مكاشفات القلوب كقول حارثة كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً)

ويفهم من كلام ابن عربي في الفتوحات المكية، أنها رؤيت في عالم المثال وإن كان هو ممن يجوزون رؤيته -تعالى- عياناً.

ومن جملة الدلائل في هذا المقام حديث: (لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني-

(١) رواه البزار في مسنده: (١/ ٢٦ - كشف الأستار).

-آدم لنظروا إلى ملكوت السماء) .(١)

والحديث ساقه الغزالي مستدلا به على أن من خاصية القلب إدراك العلوم عن طريق الكشف من غير اكتساب ولا تكلف، وذلك بإزالة الخبائث والكدورات عن القلب، حتى يتهيأ لانعكاس العلوم عليه من الملأ الأعلى .

ثامنًا :- الرؤى والمنامات :-

وردت أحاديث كثيرة في الصحيحين، وغيرهما، تفيد بأن الشيطان لا يقدر على التمثل بصورة النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام، وأن بعض الصوفية قد بنى على ذلك :- أن الرائي لو رآه بصفته الحقيقية - صلى الله عليه وسلم -، فإنه يعمل بما يأمره به أو ينهاه عنه في المنام وليس كذلك لو رآه بغير صفته الحقيقية .

ومن جملة ما استدل به ابن عربي على جواز العمل بالمنامات، ما أورده الإمام مسلم في صدر كتابه (صحيح) بسنده عن علي بن مُسْهِر، قال :- (سمعتُ أنا وحمزةُ الزيات، من أبان ابن أبي عياش نحواً من ألف حديث . قال :- علي : فلقيت حمزة، فأخبرني أنه رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المنام، فعرض عليه ما سمع من أبان، فما عرف منها إلا شيئًا يسيرًا، خمسة أو ستة) (٢)

ثانيًا :- الذوق

تعريف الذوق :- عرفه القشيري بقوله : (الذوق، والشرب، ويعتبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي، ونتائج الكشوفات....)

وعرفه الكاشي بأنه :-(أول درجات شهود الحق بالحق أثناء البوارق المتوالية، عند أدنى لبث من التجلي البرقي...)

وقال ابن عربي : (..اعلم أن الذوق عند القوم، أول مبادئ التجلي، وهو حال يفجأ العبد

(١) أورده الغزالي في الإحياء :- (٣/ ٩) بهذا اللفظ . ورواه ابن ماجة مختصراً في سننه: (٢/ ٢٦٣).

(٢) مقدمة صحيح الإمام مسلم : (١/ ١١٠ - نووي) .

-في قلبه ...)

وورد تعريفه في (معجم مصطلحات الصوفية)، بأنه: (نور عرفاني، يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره...، وأول التجليات: الذوق ...)

ونستخلص من هذه التعريفات، الآتي:-

(١) الذوق حال من الأحوال، فهو لا يستقر بل ينتقل صاحبه بعده إلى الشرب.

(٢) أنه نور مقذوف في القلوب.

(٣) أنه ناتج عن تجلي الله -سبحانه وتعالى- على قلوب أوليائه، وأنه أول مبادئ التجلي.

(٤) أن هذا الذوق -أو هذا النور الناشئ عن التجلي-، به يفرّق المرء بين الحق والباطل من غير نظر في كتاب أو غيره.

وهنا تنبيه، وهو أن الذوق الصوفي، له معنيان: عام، وخاص.

أما المعنى العام للذوق الصوفي، فلا يقتصر على نتائج التجليات، بل يُطلَق على الحالة الوجدانية التي يكون عليها الصوفيُّ عند مُنازَلَتِه معايشته- لحالٍ من الأحوال، أو مقام من المقامات، فيُدرِك هذه الأحوال، وتلك المقامات عن تجربةٍ، وابتلاءٍ، لا عن تَسامُعٍ، وعلمٍ مجردٍ.

فيقال -مثلاً-: فلانٌ يذوقُ البَسْطَ، أو القَبْضَ، ونحو ذلك.

ومما يؤيد هذا، أن السهروردي، لما سرد جملةً من أحوال الصوفية، وبيّن مرادهم منها، قال تعقيب ذلك: (... وهذه كلها أحوالٌ لأربابها، ولهم منها ذوقٌ وشُرْبٌ.)

وأما الذوق الصوفي بمعناه الخاص:- فيقتصر على نتائج التجليات الإلهية، وهو الذي يعنونه عند إطلاقهم لهذا اللفظ -الذوق- فإذا أقام التجلي تَفْسَيْن فصاعدًا، فهو الشُرْبُ، ثم هل بعد هذا الشرب ري أم لا؟ على قولين.

وقد أبدى ابن عربي في الذوق رأياً غريباً، إذ زعم أن العلوم تتجلى في صور مشروبات حسيّة محصورة في أربعة أصناف، هي :- الماء، واللبن، والعسل، والخمر. وفي كل صنف منها، يتجلى علم، ليس يتجلى في غيره. !! (١)

أنواع الذوق

أولاً :- الذوق :-

وهو أول مبادئ التجلي، ويكون، عند أدنى لبث للتجلي الإلهي، في قلب السالك.

وقد تعرض ابن عربي لشرح هذا النوع من الذوق، مفتتح الباب، قائلاً :- (اعلم أن قولهم :- أول مبادئ التجلي: إعلام أن لكل تجل : مبدأ، هو ذوق لذلك التجلي، وهذا لا يكون إلا إذا كان التجلي الإلهي في الصور، أو في الأسماء الإلهية، أو الكونية، ليس غير ذلك. فإذا كان التجلي في المعنى، فعين صبرش: عينه، هالك بعد المبدأ حكم يستفيده الإنسان بالتدرج، كما يستفيد معاني تلك الصورة المتجلي فيها، أو معاني الأسماء كلها: كل اسم منها، فيري في المبدأ، هالك يراه من ذلك الاسم بعد ذلك. وصاحب المعنى: صبرأ كل شيئ : عينه، فلا يستفيد منه بعد هذه الإفادة الكلية.

ثانياً :- الشرب :-

وقد عرّفه ابن عربي بقوله :- (الشرب بين مقام الذوق والريّ..)

وعرّفه بأنه :(ما تستفيده في النفس الثاني، مضافاً إلى ما استفدته في نفس الذوق..) والشرب إما أن يكون على وجه الظمأ، ودفع ألم، كالشرب من الحوض يوم القيامة، أو يكون على وجه التلذذ والشهوة، لا عن ظمأ، كشراب أهل الجنة، وهم في الجنة.

وقد ذهب ابن عربي في الشرب مذهباً غريباً جداً، إذ زعم أن العلوم، تتجلى في صور أربعة مشروباتٍ حسيّةٍ، لا غير، وهي :- اللبن، والماء، والعسل، والخمر، والناس منهم مَنْ يكون مشروبه عسلاً، ومنهم من يكون مشروبه ماءً، أو لبناً، أو خمراً، بحسب الصورة التي يتجلى فيها ذلك العلم، لأن هذه الأصناف، صور علومٍ مختلفة.

وقد علل وجه انحصار تجلي العلوم في هذه الأصناف الأربعة، بقوله :(... ولما كانت الجنة

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية :- ص : ٥٣٩ - ٥٤٣ و ١٩٤.

- دار الرؤية والتجلي ، وما ذكر الله فيها سوى أربعة أنهار: أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر، لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى: علمنا قطعاً أن التجلي العلمي ، لا يقع إلا في أربع صور: - ماء ، ولبن ، وخمر، وعسل) .

ونزعم بأن أصناف الناس في هذا التجلي مختلف ، فلكل صنف من المشروبات :- صنفٌ من الناس وأهل الصنف الواحد متفاوتون في التجلي العلمي ، وكل صنف يفضل بعضه بعضاً .

ومن الناس من يكون مشروبه واحداً من هذه الأربع ، لا ينتقل عنه أبداً ، ومنهم من يتنوع في المشروبات ، وهذا هو حال الأكثر من الناس .

ثالثاً :- الرّيّ :-

وهو ما يكون بعد الشرب ، من اكتفاء المَحَلّ عن طلب الزيادة ، وهو آخر مراحل الذوق.

والصوفيون مختلفون :- فمنهم مَنْ يقول بحصول الري ، ومنهم من يقول بعدم إمكانه، قال ابن عربي :(... وهل بعد هذا الشرب ري أم لا ؟ فذوقهم في ذلك مختلف فيه ، وقد ذكر عن بعضهم ، أنه شرب فارتوى ... ونقل عن أبي يزيد أنّ الري محالٌ .

وقد ورد عن الشاذلي ، ما يفيد حصول الري ، وإمكانه .

ويذهب ابن عربي ، إلى أن القائلين بالري ، (هم أهل الكشف في اللوح المحفوظ ، المعتكفون على النظر فيه ، أو مَنْ كان كشفه في نظريته ، ما هو الوجود عليه ، ثم يسدل الحجاب دونه ، ويرى التناهي ، إذ كل ما دخل في الوجود: متناهٍ ، وليس لصاحب هذا الكشف من الكشف الأخروي ، شيئ ، فهذا رأى الغاية ، قال بالري ، وعلّق همّته ، بالغاية .)

وأعلم أن الري ، قلّ مَنْ يفهم المراد به ، فإنه مزج الأوصاف بالأوصاف ، والأخلاق بالأخلاق ، والأنوار بالأنوار ، والأسماء بالأسماء ، والنعوت بالنعوت ، والأفعال بالأفعال) .

أدلة الذوق

استدل ابن عربي على ما أطلق عليه : (الذوق الخيالي) بحديث مجيئ أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-

بجميع ماله للنبي صلى الله عليه وسلم -، ولفظ الحديث - من رواية عمر بن الخطاب مرفوعاً: (أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم -: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله قال: - وأتى أبو بكر رضي الله عنه - بكل ما عنده، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: - ما أبقيت لأهلك؟ قال: - أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيئ) (١)

واستدل ابن عربي أيضاً، على تجلي العلم في صورة اللبن: بحديث شرب النبي - صلى الله عليه وسلم - اللبن، في المنام، وإعطائه فضلته لعمر. ونص الحديث، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: - (بينا أنا نائم أوتيت بقدح لبن فشربت حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر ابن الخطاب، قالوا فما أولته يا رسول الله؟ قال: - العلم) (٢)

واستدل فيما استدل به، بمزج النبي - صلى الله عليه وسلم - اللبن مع الماء، للتنوع في العلم.

ومن جملة استدلالاته، احتجاجه بأن النبي - صلى الله عليه وسلم -، كان إذا فرغ من شرب اللبن، قال: - (... اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه ...) (٣)

واستدل أيضاً، بشرب النبي - صلى الله عليه وسلم - من ماء زمزم وتضلعه منه. (٤)

واستدل أيضاً، بأنس - صلى الله عليه وسلم - كان يحب العسل والحلوى. (٥)

ثم قال - بعد إيراده كل ما تقدم: - (فهذه كلها - أعني المشروبات - وضعها الله، ضرب أمثلة لأصناف علوم، تتجلى للعارفين، في صور هذه المحسوسات).

وقد استدل على عدم الري بقوله - تعالى: - (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (٦) ووجه ذلك: أن من طلب الزيادة، فما ارتوى.

---

(١) رواه أبو داود: (٢/ ٣١٢ - ٣١٣ - معالم السنن) ورواه الترمذي. (٥/ ٢٧٧).
(٢) رواه البخاري: (١/ ١٨٠ - فتح)
(٣) رواه أبو داود: (٤/ ١١٦ - معالم السنن).
(٤) رواه ابن ماجه: (٢/ ١٠١٧)
(٥) رواه البخاري: (١٠/ ٧٨ - فتح)
(٦) سورة طه: - ١١٤.

ثالثاً :- الوجد

تعريف الوجد :- إختلفت العبارات في تعريفه، على أقوال كثيرة، وقد حكى السراج، هذا الإختلاف، قائلاً : (باب في ذكر اختلافهم في ماهية الوجد .... اختلف أهل التصوف في الوجد، ما هو...)

فمن هذه الأقوال :- قول عمرو بن عثمان المكي : (لا يقع على كيفية الوجد عبارة، لأنها سر الله - تعالى - عند المؤمنين الموقنين) .

وقال أبو الحسن النوري : (الوجد لهيب ينشأ في الأسرار، وينسخ من الشوق، فتضطرب الجوارح : طرباً، أو حزناً، عند ذلك الوارد)

وقال أبو سعيد بن الأعرابي : (الوجد رفع الحجاب، ومشاهدة الرقيب، وحضور الفهم، وملاحظة الغيب، ومحادثة السر، وإيناس المفقود، وهو فناؤك من حيث أنت) .

وقال أيضاً :- (الوجد أول درجات الخصوص، وهو ميراث التصديق بالغيب، فلما ذاقوها، وسطع في قلوبهم نورها، زال عنهم كل شك وريب)

وقال الكلاباذي : (الوجد : هو ما صادف القلب، من فزع، أو غم، أو رؤية معنى من أحوال الآخرة، أو كشف حالة بين العبد، والله - عز وجل -) .

وقال القشيري :- (الوجد يصادف قلبك، ويرد عليك بلا تعمد وتكلف، ولهذا قال المشايخ : الوجد : المصادفة...) وغيرها من التعاريف . (١)

أنواع الوجد :-

وهو ثالث المصادر الرئيسية، المعروف والمشهور في كتب التصوف، أن للوجد ثلاثة درجات وهي التواجد، ثم الوجد، ثم الوجود .

أولاً : التواجد :- وهو استدعاء الوجد بنوع تحمل وتصنع، واستجلاب الأحوال ←

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية . ص :- ٦٢٣ - ٦٢٤ .

- الشريفة .

قال الكلاباذي : (... التواجد : ظهور ما يجد في باطنه ، على ظاهره ، ومنه قوي : تمكّن ، فسكن).

وقال القشيري : (... فالتواجد : استدعاءُ الوجد ، بضربٍ اختيارٍ ، وليس لصاحبه كمال الوجد ، إذ لو كان : لكان واجداً ، وباب التفاعل أكثرُه على إظهار الصّفة ، وليست كذلك .)

وفصّل الغزالي ، قائلاً :- (واعلم أيضاً أن الوجد ينقسم إلى هاجم ، ومتكلّف ، ويُسمّى ، بالتواجد ، وهذا التواجد المُتكلّف ، فمنه مذموم ، وهو الذي يُقصدُ به الرياء ، وإظهارُ الأحوال الشريفة ، مع الإفلاس منها . ومنه ما هو محمود ، وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة ، واكتسابها ، واجتلابها بالحيلة ، فإن للكسب مدخلاً في جلب الأحوال الشريفة ، ... فإذا هذه الأحوال ، قد تتكلف مباديها ، ثم تتحقق أواخرها ...) .

ثانياً : - الوجد :-

وهو إما أن يرجع إلى الأحوال ، بمعنى أن يُنَزَّلَ المريدُ أو السالكُ ما يَرِدُ على سمعه من الأبيات والأشعار ، على حاله مع الله ، من شوق . (١) أو وصل (٢) أو غير ذلك .

وإما أن يرجع إلى مكاشفات ومشاهدات (٣) ، وهذا من قبيل العلوم والتنبيهات ، فيستفيد علماً لم يكن عنده قبل ذلك . وهذا يتواصل إليه بنوع فناء ، لكنه لا يدوم ، لعجز الإنسان عن البقاء تحت سطواته .

قال القشيري : (فالتواجد بداية والوجود نهاية ، والوجد واسطة بين البداية والنهاية)

فالوجد يعقب التواجد ، ويتلوه .

وذكر ابن عربي ، أن الصوفية ، قد يخرج الوجد عندهم ، عن حكم الاضطلاح . فيسلبونه في العموم .

(١) الشوق :- هو هيجان القلب عند ذكر المحبوب .

(٢) الوصل أو الوصال ، أو الإتصال ، قالوا :- هو :- الإنقطاع عما سوى الحق .

(٣) المشاهدة :- تعني المحاضرة والمناجاة .

ومعنى الوجد المتعلق بالأحوال: أن كل مريد، وسالك إلى الله، لا يخلو عن أن تكون له مع الله حالة من الأحوال، بحسب تمكّنه وتحقّقه في مقام السلوك: وهو في أثناء سيره إلى الله، قد تبدر منه غفلات وسقطات، فإذا حضر السماع، أو حضر السماع، وطرق سمعه ذكر عتاب، أو هجر، أو وصل، أو قبول، أو ردّ، أو وحشة، أو وفاء بعهد أو غير ذلك مما تشتمل عليه هذه الأشعار، فإن السالك: - يُنزّل هذه الأشعار بحسب حاله مع الله فإن سمع ذكر عتاب، وكان قد قصّر في بعض الطاعات، أخذ من ذلك: كأنّ الله يعاتبه على تقصيره، وهكذا الأمر في كل ما يطرق الأسماع، كلٌّ حسب حاله مع الله، ولو كانت الألفاظ التي تشتمل عليها الأشعار، فيها ذكر الخدود، والقدود، والأصداغ، فليس على المريد، مراعاة مراد الشاعر، بل هو يستلهم من هذه الألفاظ، معاني مواقفة لحاله.

ثالثًا: - الوجود: - هو آخر مراتب الوجد قال القشيري: (.. وأما الوجود، فهو بعد الجرّ استقاء عن الوجد، ولا يكون وجود الحق، إلا بعد خمود البشرية، لأنه لا يكون البشرية بقاء، عند ظهور سلطان الحقيقة.)

وقال ابن عربي: - (اعلم أن الوجود عند القوم: وجدان الحق في الوجد. يقولون: - إذا كانت صاحب وجدٍ، ولم يكن - في تلك الحال - الحقّ مشهودًا لك، وشهودك هو الذي يفنيك عن شهودك، وعن شهود الحاضرين: فلستَ بصاحبِ وجد، إذا لم تكن صاحبَ وجدٍ الحق فيه.

وأعلم أن وجود الحق في الوجد، ما هو معلوم، فإن الوجد مصادفة، ولا يدري بما تقع المصادفة، وقد يجيئ بأمر آخر...)

وجاء في معجم مصطلحات الصوفية، أن الوجود، أخص من الوجد، لدوامه بدوام الشهود، واستهلاك الواجد فيه، وغيبته عن وجوده بالكلية.

وفي أشعار الصوفية، ما يلمح منه إشارة إلى مرتبة الوجود، مثل قول الجنيد: -

(الوجدُ يُطْرِبُ مَنْ في الوجد راحتُه ... والوجد عند حضور الحق مفقود.
قد كان يطربني وجدي فأشغلني ... عن رؤية الوجد ما في الوجد موجود.)

وأنشد الشبلي :-

(الوجد عندي جحود ما لم يكن عن شهود
وشاهد الحق عندي يُفْنِي شهودَ الوجود) .

وقال أبو علي الرقاق : (الوجد :- يوجب استغراق العبد ، والوجود ، يوجب استهلاك العبد)
ومعناه :- أن الوجد يؤدي إلى الإستغراق : وهو ألا يلتفت قلبُ الذاكر في أثناء الذكر ، إلى الذكر ، ولا إلى القلب . ويُعَبَّر عن هذه الحالة بالفناء .

أما الوجود :- فانه يؤدي إلى الإستهلاك : وهو فناؤه عن شهود فنائه ، باستهلاكه في وجود الحق .

ويستعان لتحقيق الوجد بأنواعه الثلاثة ، بوسائل صناعيّة ، كآلات اللهو والطرب ، من الأوتار المُصَوّتات ، والدفوف ، ويصاحب ذلك أصوات القوّالين ، بالأشعار المطرّبة الملحّنة ، فيكون لذلك تأثير على النفوس - بسُكْرها - أشد مما يصيب العقل من شراب الخمر في الكؤوس ، فتستخوبهم الشياطين ، بإلقاء ما قد يظنون مكاشفات رحمانية ، وعلوماً عرفانية ربانية ، حصلت في قلوبهم ، يزعمون أنها حديثة العهد بربها ، لا كعلوم أهل الرسوم ، متوارثة جيلاً عن جيل ، وميتاً عن ميت !! . (١)

أدلة الوجد :-

استدلوا على التوجد بحديث : (ابكوا ، فإن لم تبكوا ، فتباكوا) (٢)
واستدلوا له أيضاً ، بما ثبت عن عمر - رضي الله عنه - في قصة أسارى بدر ، لما دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأبي بكر - رضي الله عنهما - ، فوجدهما يبكيان ، فقال عمر - رضي الله عنه - (يا رسول الله ! أخبرني من أي شيئ تبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاءً ، تباكيت لبكائكما .) (٣) فهذا الحديث مما استدل به ، ابن عربي .

---

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية : ص :- ٤٣١ - ٤٤٣ و ١٩٠ - ١٩٧ .
(٢) رواه ابن ماجه :- (١/ ٤٢٤) .
(٣) رواه مسلم : (١٢/ ١٦ - ٨٧ - نووي) .

قال السراج الطوسي: (فالتواجد من الوجد، بمنزلة التباكي من البكاء....).

ومن جملة أدلتهم على جواز التواجد، والاضطراب، والحركة، أثناء السماع: ما روي عن أنس - رضي الله عنه - قال: - (كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ نزل جبريل، فقال: يا رسول الله، إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم: وهو خمسمائة عام، ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم: - فقال: - هل فيكم من ينشدنا؟ فقال بدوي: - نعم يا رسول الله، فقال: هات، فأنشد الأعرابي: -

قد لسعتْ حيّةُ الهوى كبدي ... فلا طبيب لها ولا راقي

إلا الحبيب الذي شغفت به ... فعنده رقيتي وترياقي.

فتواجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وتواجد الأصحاب معه، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فلما فرغوا، أوى كلّ واحد منهم إلى مكانه، قال معاوية بن أبي سفيان، ما أحسن تعبيركم يا رسول الله، فقال: مَهْ يا معاوية، ليس بكريم مَنْ لم يهتز عند سماع الحبيب، ثم قسم رداء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على من حضر بأربعمائة قطعة) (١)

ومن أدلتهم، أيضاً: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قُرِئَ عنده، قول الله - تعالى - (إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا) (٢) فصعق. (٣)

فقد احتج بذلك الغزالي.

واستدلوا بما روي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال عن داود - عليه السلام: (... كان حسن الصوت في النياحة على نفسه، وفي تلاوة الزبور، حتى كان يجتمع الإنس، والجن والوحوش، والطير، لسماع صوته، وكان يحمل في مجلس أربعمائة جنازة ممن قد مات.) (٤)

واستدلوا على جواز الرقص والتواجد أثناء السماع، بلعب الحبشة في المسجد، وعائشة

(١) رواه السهروردي في عوارف المعارف: (٥/ ١٢٣).

(٢) سورة المزمل: - ١٢.

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره: (٢٩/ ١٥)، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان: (٣/ ١٦٦ - ١٦٧).

(٤) انظر: اللمع: ص: ٢٦٨، وإحياء علوم الدين: ٢/ ٢٤٨.

- تنظر إليهم، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يستترها برداءه. (١) استدل به الغزالي وغيره.

ومن جملة استدلالاتهم، ما قاله الغزالي:- (من الألحان ما يثير الفرح، والسرور، والطرب، فكل ما جاز السرور به: جاز إثارة السرور فيه، ويدل على هذا، من النقل:- إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:-

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ... وجب الشكر علينا ما دعا لله داع. (٢)

واستدلوا على جواز الرقص في الذكر والسماع، بأنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعلي بن أبي طالب: أنت مني وأنا منك، فحجل (٣)، وقال لجعفر بن أبي طالب:- أشبهت خُلقي وخَلقي، وقال لزيد بن ثابت: أنت أخونا ومولانا، فحجل. (٤)
فهذا مما استدل به الغزالي، والسهروردي، على جواز الرقص في السماع.

- مصادر أخرى للتلقي عند الصوفية:-
هناك مصادر - غير ما تقدم - يتلقى عنها الصوفية، يصح اعتبارها ثانوية، بإزاء - المصادر العامة الرئيسية.

وهي لكثرتها واختلاف صورها، ليس بالوسع حصرها جميعها، لأن ذلك يستدعي استخراجها، بتتبعها من بطون كتب الصوفية على كثرتها، والوقف لا يساعد عليه، بل تفنى الأعمار دون ذلك، وليست هي من شأن هذا البحث، فليكتفى بالتنبيه على بعضها، مثل:-

تلقي المريدين عن أشياخهم المقبورين، وعن ذلك يقول علي الخواص - شيخ السحراني:- (إنما كان مشايخ القوم يجيبون تلامذتهم من قبورهم - دون مشايخ الفقهاء - في الفقه، لصدق الفقراء في اعتقادهم في أشياخهم، دون الفقهاء، فلو صدق الفقيه، لأجابه الإمام ←

(١) رواه البخاري: (١/ ٥٤٩ - فتح).
(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة: (٢/ ٥٠٦ - ٥٠٧).
(٣) الحجل:- نوع من المشي، يفعل عند الفرح.
(٤) رواه البيهقي:- (٦/ ٨)، وأيضاً رواه البيهقي في (١٠/ ٢٢٦).

- الشافعي - رضي الله عنه - وخاطبه مشافهة) :

وزعم الشعراني أنه زار قبر أبي العباس الحريثي ، فرآه خرج من القبر ، وقال له عليك بالصبر ثم اختفى .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ، دعوى الصيادي الرفاعي ، التلقي من قبر أويس القرني ، لما زاره ، ومن قبر غيره أيضاً .

ومن هذه المصادر : - التلقي عن الأنبياء - غير نبينا صلى الله عليه وسلم - كما ادعاه هذا الصيادي أيضاً فقد زعم رؤية جملة من الأنبياء ، كيونس ، وزكريا ، وإبراهيم ، - عليهم الصلاة والسلام - .

وأيضاً ادّعى أحمد بن إدريس ، تعجّب الأنبياء لسماع بعض أوراده ، والخليل - عليه الصلاة والسلام - ، منهم ، على وجه الخصوص .

وقال أبو حامد الغزالي - مبيناً درجات سلوك طريق التصوف : - (ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات ، والمشاهدات ، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة ، وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتاً ، ويقتبسون منهم

وقد يدعون رؤية الصحابة - رضي الله عنهم - كما زعم الدبّاغ ، أن القطب يجتمع في الديوان بالخلفاء الأربعة الراشدين ، والحسن والحسين ، وفاطمة - رضي الله عنهم - .

وزعم الصيادي أنه رأى في المحضر النبوي ، أبا بكر الصديق ، فعلّمه أبو بكر - رضي الله عنه - دعاء الخاشعين ، ورأى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فعلّمه صيغة أخرى . ومن افتراءاته - أيضاً - دعواه أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - طلب منه أن يُسمّعه حزب الوسيلة لأحمد الرفاعي ، لأن علياً - رضي الله عنه - يحب هذا الحزب !!

وقد يدّعون رؤية أشياخهم يقظة ، كما ذكر أحمد مشاهير التجانية ، وهو : عمر الفوتي الطوري ، في واقعة ، لما أن أراد أحد السلاطين الفتك به ، فظهر أحمد التجاني لأحد أصهار السلطان ، وتكلم معه بكلام ، فكان خلاص الطوري بسبب ذلك .

ومن ذلك أيضاً : زعم الصيادي رؤية روحانية أحمد الرفاعي .

وربما يحصل العلم - عندهم - بأسباب أخرى، مثل أن يُلبِسَ الشيخُ المريدَ لباسًا ما، كما في قصة أحد المريدين، لما تسلك في طريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني، ألبسه الشيخ عبدُ القادر طاقية، فلما لمست رأسه، وجد بردها في دماغه، واتصل البردُ بفؤاده، حتى كشف له عن الملكوت، وسمع العوالم وما فيها من تسبيح لله - تعالى -، باختلاف اللغات، وأنواع التقديس. وألبس الشيخُ عبد القادر أحدَ المريدين ثوبًا - كان عليه - فرأى في الوقت الحاضر أصحاب القبور وأحوالهم، والملائكة وأحوالهم، والملائكة ومقاماتهم، وقرأ المكتوب على جبين كل إنسان، وكُشف له عن أمور جلية، كشفًا جليًا.

وقد يجدون العلم بأن يضرب الشيخ المريد على صدره. كما فعل عبدُ القادر بأحد مريديه. وفي ترجمة أحمد بن إدريس أنه كان في بدء أمره، إذا تكلم في شيئ من العلم، نظر في يده.

فهذه أمثلة لشيئ من أسباب حصول العلوم، وبعض المصادر الثانوية للتلقي عند الصوفية، وما لم نذكره أكثر. (١)

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية: ص:- ٦٥٣ - ٦٥٧ و ١٩٧ - ٢٠١.

الفصل الثاني:- كرامات الصوفية

للأولياء الحقيقيين كرمات لا تنكر، وقد كان للصحابة رضي الله عنهم من الكرامات ما هو جدير بهم، وكان لغيرهم من الأولياء والعلماء كرامات كثيرة. ومن فوائد ذكر الكرامات هنا هو بيان تلك الكرامات التي تتم على أيدي أناس ليسوا من أولياء الله، وليس لهم صلاح يوهلهم لذلك.

وبيان أن ذلك من مكائد الشيطان وتلبيسه على الناس بأن يظهر لبعضهم أمورًا غيبية تبدو كأنها كرمات من الله للشخص فيتخيل أنه بلغ منزلة عالية فاق فيها غيره من الناس، وأنه أصبح يماثل الأنبياء في كراماتهم وقربهم من الله. وهو الحال كثير الوقوع لمن يدعون أنهم أولياء لله، وأكثرهم في الحقيقة أعداء لله وموالين لشياطينهم.

ومن تلاعب الشياطين بهؤلاء: أن يسمع أحدهم صوتًا من حجر أو شجر أو صنم يأمره وينهاه بأمور في بعضها الشرك بالله فيظن المغرور أن الله خاطبه أو الملائكة على سبيل الكرامة، ومعلوم أن الله لا يأمر بالفحشاء، والملائكة لا تأمر بالشرك بالله وإنما أولئك هم الشياطين يلبسون عليهم أمورهم، كما كانوا يفعلون ذلك قبل الإسلام أيضا.

وقد يظن هؤلاء أن ذلك وحي من الله عليهم كما حصل لكثير من الذين قلت معرفتهم بالله كالمختار بن أبي عبيد الذي أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كذاب ثقيف وغيره ممن استهوتهم الشياطين.

ومنها: أن الشياطين قد تتمثل بصورة المستغاث به من الناس فيظن المشرك بالله أن هذه الصورة هي الشيخ الفلاني أو الولي الفلاني، أو أن ملكًا جاء على صورته، وإنما هو في الحقيقة شيطان تمثل له ليضله.

ومنها: أن تخاطب الشياطين بعض العباد الجهال، ويوهمونه أنه المهدي المنتظر وصاحب الزمان الذي بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم. ويغرونه بزخرف القول وشتى الوساوس حتى يصدق نفسه فيدعي المهدية وغير ذلك.

بل يبلغ الحال ببعضهم أن يرى الكعبة تطوف به، ويرى عرشًا عظيمًا وعليه صورة ←

- عظيمة وأنوارًا وأشخاصًا تصعد وتنزل فيظنها الملائكة بين يدي الله تعالى وزاد اللّه كشف له النظر إليه.

وهذا يتطلب من المؤمن العاقل التنبه لمثل هذه المكائد الشيطانية بلجوئه إلى الله والإهتداء بهديه، وسوء الظن بنفسه الأمارة بالسوء، وأن ينظر إلى نفسه من باب الذل والإحتقار والحاجة إلى ربه، ويزن أعماله بامتثال أوامر الله واجتنابه نواهيه، فيحكم على نفسه عند ذلك بالتقصير أو القرب من الله تعالى.

ويكبح جماح نفسه الأمارة بالسوء، وأن لا يصدق ما يتراءى له من كرامات تنافي الإسلام، مثل أنواع الكرامات التي تبجح بها بعض غلاة الصوفية لأنفسهم كما ذكرها المناوي، وهي:-

إحياء الموتى. وقد مثل بأبي عبيد اليسري الذي أحيا دابته بعد ما ماتت، ومفرج الدماميني الذي أحيا الفراخ المشوية، والكيلاني وأبو يوسف الدهماني الذي أحياء لتلميذه ولده بعد ما مات.

ومن الكرامات التي يزعمونها أن الأولياء من الصوفية لهم القدرة على المشي على الماء وكلام البهائم وطي الأرض وظهور الشيخ في غير موضعه والمشي على السحاب وتحويل التراب إلى خبز وإبراء الأكمه والأبرص.

ويذكر علي حزازم منهم أن الولي يملك كلمة التكوين فإذا أراد شيئًا فإنه يقول له كن فيكون. وقد ذكر أمثلة كثيرة في كتابه جواهر المعاني لمثل هذا الخلط والكذب على الله وعلى الناس.

ومن المعجزات والكرامات التي يملكها الأولياء من الصوفية - حسب زعمهم - سماع نطق الجمادات، كما يزعم ابن عربي الذي ملأ كتبه بأنواع الأكاذيب حول تلك المعجزات والكرامات الصوفية.

فهانئ الجنة لمن أطعم صوفيًا أو قضى له حاجة، كما ضمن ذلك التجاني لكل من أحب أو أطعم أو أحسن إليه بأي شيئ كما يذكر التجانيون في كتبهم افتخارًا بكرامات سيدهم التي منها هذه الكرامات التي أكدها علي حزازم والفوتي نقلا عن التجاني. (١)

(١) فرق معاصرة :- ص: ٩٠٤ - ٩٠٦.

يقول الشعراني في كتابه "الطبقات الكبرى" يُعدد كرامات أولياء الصوفية :-
وكان رضي الله عنه يلبس الشاش المخطط كعمامة الأنصاري، وكان مكانه منتناً قذراً، لأن كل كلب وجده ميتاً، أو خروفاً يأتي به فيضعه داخل المكان، فكان لا يستطيع أحد أن يلبس عنده، وأنى توجد إلى المسجد فوجد في الطريق مسقاة كلاب فتطهر فيها، ثم رفع في مشخته حمير.

وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرداً (شاباً بلا لحية) راوده عن نفسه، وحشش على مقعدته، سواء كان ابن أمير أو ابن وزير، ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس !.

ويتحدث الشعراني عن سيده (علي وحيش) فيقول: وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره، ينزل له من على الحمارة، ويقول له :- إمسك رأسها حتى أفعل بها، فإن أبي شيخ البلد، فتسمّر في الأرض لا يستطيع أن يمشي خطوة.

ويقول الشعراني عن سيده محمد الخضري: "أخبرني الشيخ أبو الفضل السرسي، أنه جاءهم يوم الجمعة، فسألوه الخطبة، فطلع على المنبر، وحمد الله وأثنى عليه وحده ثم قال "وأشهد أن لا إله إلا الله لعن إبليس عليه الصلاة والسلام". فقال الناس :- كفر!!، فسلّ السيف ونزل، وهرب الناس كلهم من الجامع، فجلس على المنبر إلى أذان العصر، وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع، ثم جاء بعض أهالي البلاد المجاورة، فأخبر أهل بلده أنه خطب عندهم وصلى فيهم، فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة، هذا ونحن نراه جالساً عندنا في الخطبة.(1)

وقال الشعراني :- "وأخبرني شيخنا محمد الشناوي أن شخصاً أنكر حضور مولد سيدي أحمد البدوي، فسلب الإيمان، فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام، فاستغاث بسيدي أحمد فقال: بشرط أن لا تعود، فقال :- نعم فرد عليه ثوب إيمانه. ثم قال له :- وماذا تنكر علينا؟ قال: إختلاط الرجال والنساء، فقال سيدي أحمد: ذلك واقع في الطواف ولم يمنع أحد منه، ثم قال: وعزة ربي، ما عصى أحد في مولدي إلا تاب وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار، وأحميهم من بعضهم بعضاً، أفيعجز في الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدي"؟!.

(1) الصوفية في ميزان الكتاب والسنة :- ص :- 19، 20.

فهذا فيه من الإستخاشة بغير الله وهو من أعظم الشكر، وأكبر الفتنة . (١)

وكل تلك الكرامات أشبه ما تكون بأحلام الصبيان أو صرعات المجانين ، وتكذيبها والسخرية بها لا تحتاج إلى ضياع الوقت في الإشتغال بالرد عليها وبيان سخافتها ودجل من يدعيها ممن جرؤ على الكذب على الله وعلى الناس وضللوا أتباعهم وأخرجوهم عن الإسلام من حيث لا يشعر أولئك الأتباع ، لأنهم أصبحوا كما قال الله تعالى:- (أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (٢) (٣)

(١) بدع الإعتقاد :- ص :- ٢٣٩ .

(٢) سورة الأعراف :- ١٧٩ .

(٣) فرق معاصرة :- ٩٠٦ .

الفصل الثالث :- الجهاد عند الصوفية

الجهاد الصحيح عند الصوفية قليل جداً فهم مشغولون بجهاد أنفسهم على زعمهم ويروون حديثاً كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو قول صلى الله عليه وسلم :- "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" وهو جهاد النفس" فهذا لم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم ، بل الواضح من القرآن والسنة أن الجهاد الكفار من أعظم القربات إلى الله تعالى ، وهذه أقوال الصوفية في الجهاد .

(١) يقول الشعراني : لقد أخذ علينا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيفما دار ، ولا يزدرون قط من رفعهم الله عليهم ، ولو كان في أمور الدنيا وولايتها.

(٢) ويقول ابن عربي :- إن الله إذا سلّط ظالماً على قوم فلا يجب أن يقاوموه ، لأنه عقاب من الله .

(٣) وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية فلم نسمع أن واحداً منها شارك في قتال ، أو دعا إلى قتال ، أو سجّل في شعره أو نثره آهة على الفواجع التي نزلت بالمسلمين ، لقد كانا يقرران للناس :- أن الله هو عين كل شيء . فليدع المسلمون الصليبيين ، فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة بتلك الصور .

(٤) ويذكر الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) عند بحث طريقة التصوف ، أنه كان خلال الحروب الصليبية مشغولاً في خلوته تارة في مغارة دمشق ، وتارة في صخرة بيت المقدس ، يغلق بابها عليه في مدة تزيد على السنتين ، ولما سقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام ٤٩٢ هـ لم يحرّك الغزالي ساكناً ، ولا دعا للجهاد لإعادته ، مع أنه عاش ١٢ سنة بعد سقوطه .

وكتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي ، لم يذكر فيه شيئاً عن الجهاد أبداً ، بل ذكر فيه كثيراً من الكرامات التي هي خرافات وكفريات ، وهي في الجزء الرابع صفحة ٤٠٦ .

(٥) ويذكر صاحب كتاب (تاريخ العرب الحديث والمعاصر) أن أصحاب الطرق الصوفية أشاعوا الخرافات والبدع ، وبثّوا روح الإنهزامية والسلبية في النضال ، فاستخدمهم

- الاستعمار كجواسيس .

(٦) ومن كتاب (في التصوف) لمحمد فهر شقفة السوري (ص:- ٢١٧) يقول:- "نرى من واجبنا خدمة للحقيقة والتاريخ أن نذكر أن الحكومة الفرنسية في زمن الانتداب على سورية حاولت نشر هذه الطريقة (التيجانية)، واستأجرت بعض الشيوخ لهذه المهمة، فقدّمت لهم المال والمكان لتنشئة جيل يميل إلى فرنسا، لكن مجاهدي المغرب لفتوا انتباه المخلصين من أهل البلاد إلى خطر الطريقة التيجانية، وأنها فرنسية استعمارية تتستر بالدين، فهبت دمشق عن بكرة أبيها في مظاهرات صاخبة". (١)

موقف الصوفية من الجهاد ومقاومة الاستعمار :-

ليست مواقف المتصوفة واحدة في هذا الشأن، ولكنها مواقف متباينة يسودها الاضطراب.

(١) فطائفة منهم أعلنت الجهاد وقاومت الاستعمار، ومن هذه الطائفة الأولى أتباع الطريقة السنوسية، الذين جاهدوا ضد إيطاليا في ليبيا.

(٢) وطائفة أخرى نكصت عن الجهاد وانزوت على نفسها فرقًا وهربًا ومن هؤلاء كثير من الطرق المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي.

(٣) وهناك طائفة ثالثة قاومت المستعمر ردحًا من الزمن ولما لم تفلح في طرد المستعمر استسلمت للمستعمر، ولم تكتف بذلك، بل أبرمت معه المعاهدات، وأوضح من يمثلها هو الأمير عبد القادر الجزائر سبعة عشر عامًا، إلا أنه استسلم أخيرًا وسلم نفسه للفرنسيين، فنفوه إلى خارج البلاد، ثم أطلقوا سراحه، ورتبوا له مبلغًا من المال سنويًا، وزار باريس ثم استقر في دمشق، وحين انهزمت فرنسا (عام ١٩١٧ م) أظهر كمال الأسف إظهارًا للاعتراف بحسن صنيعها، وحين قام ابنه (محي الدين) بإعلان الجهاد ضد فرنسا مرة أخرى، تبرأ عبد القادر منه، وكان ذلك سببًا في انفضاض القبائل عنه وفشل حركته.

(٤) أما الطائفة الرابعة: فقد والت المستعمر وقاتلت إخوانها في سبيله، ويمثلها كثير-

(١) الصوفية في ميزان الكتاب والسنة :- ص:- ٢١ - ٢٣ .

- من زعماء الطريقة التيجانية . (١)

(١) بديع الاعتقاد : ص:- ٣١٠ ، ٣١١ .

الفصل الرابع :- أقوال الصوفية

إن كثيراً من الناس يظن أن الصوفية من الإسلام ، وأن فيهم الأولياء . وأريد لكل أخ مسلم أن يطّلع على أقوالهم ليرى بعدهم عن الإسلام وتعاليم القرآن :-

(١) يقول الشيخ محي الدين بن عربي المدفون بدمشق وهو كبير الصوفية في كتابه (الفتوحات المكية) :- "وربَّ حديث يكون صحيحاً عن طريق رواته حصل لهذا المكاشف الذي عاينه هذا المظهر ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الحديث فأنكره ، وقال له لم أقله ولا حكمت به فيعلم ضعفه فيترك العمل به ، على بينة من ربه ، وإن كان عدل به أهل النقل لصحة طريقه ، وهو في نفس الأمر ليس كذلك" .

وهذا الكلام موجود في مقدمة كتاب الأحاديث المشتهرة للعجلوني ، هذا الكلام خطير وضربٌ للحديث النبوي ، وطعن في علماء الحديث كالبخاري ومسلم وغيره .

(٢) ويقول ابن عربي عن وحدة الأديان كاليهودية والنصرانية والوثنية والإسلام :-

وقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي	إذا لم يكن ديني إلى دينه داني .
فأصبح قلبي قابلاً كل حالة	فمرعى لغزلان ودير لرهبان .
وبيت لأوثان وكعبة طائف	وألواح توراة ومصحف قرآن .

والقرآن يردّ كلام ابن عربي ويقول :- (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (١)

(٣) وابن عربي يعتقد أن الله هو المخلوق ، والمخلوق هو الله وكل منهما يعبد الآخر ، ويُعبّر عن ذلك بقوله :-

فيحمدني وأحمده	ويعبدني وأعبده ؟

(٤) بعض الصوفية يعتقد بوحدة الوجود ، فليس عندهم خالق ومخلوق ، فالكل خالق

(١) سورة آل عمران :- ٨٥ .

- والكل إله ، وزعيمهم ابن عربي المدفون بدمشق يقول :-

العبدُ ربٌّ ، والربُّ عبدٌ ... يا ليت شعري من المكلّف ؟
إن قلتَ عبدٌ فذاك حقٌّ ... أو قلتَ ربٌّ فأنى يُكلّف ؟
(الفتوحات المكية لابن عربي)

(٥) ويقول ابن عربي في كتابه (الفصوص) :- "إن الرجل حينما يضاجع زوجته ، إنما يضاجع الحقّ !

(٦) ويشرح النابلسي ذلك بقوله :- "إنما ينكح الحقّ" .

(٧) ويقول أبو يزيد البسطامي يخاطب الله : فزيّني بوحدانيتك ، وألبسني ربّانيتك ، وارفعني إلى أحديتك ، حتى إذا رآني خلقك قالوا :- رأيناك ، ويقول عن نفسه :- سبحاني ، سبحاني ، ما أعظم شأني ، الجنة لعبة صبيان !! .

(٨) ويقول جلال الدين الرومي : مسلم أنا ولكني نصراني ، وبرهامي ، وزرادشتي ، وليس لي سوى معبد واحد ..... مسجد ، أو كنيسة ، أو بيت أصنام !! .

(٩) الصوفية تذكر اسم الخمر والسكر ، فيقول شاعرهم وهو ابن الفارض :-

شربنا على ذكر الحبيب مُدامة (١) ... سكرنا بها من قبل أن يُخلق الكَرْم .

وسمعتهم ينشدون في المسجد :-

صاتَ كأسَ الرّاح (١) ... واسقنا الأقداح .

أقول :- لا يستحي الصوفية من ذكر أسماء الخمر في بيت الله الذي أنشئ لذكر الله لا لذكر أسماء الخمر المحرمة ، والله تعالى يقول :- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٢)

(١) (والمدامة والرّاح :- من أسماء الخمر) .

(٢) سورة المائدة :- ٩٠ .

(١٠) ويقول ابن الفارض :- إن الله تجلّى لقيس بصورة ليلى، وتجلى لكثير بصورة عزة، وتجلّى لجميل بصورة بثينة في قصيدته التائية المعروفة، فهو يعترف أن هذا من تجليات الحق.

(١١) سُئلت رابعة العدوية :- هل تكرهين الشيطان ؟ .

فقالت :- إن حبي لله لم يترك في قلبي كراهية لأحد.

وتقول مخاطبة الله تعالى :- إن كنت أعبدك خوفاً من نارك فاحرقني بها !! .

والله يحذرنا من النار فيقول :- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا..) (١)

وقالوا عن رابعة العدوية : إنها كانت مغنّية أو وراقصة، فكيف يجوز الأخذ بقولها، وهي تخالف القرآن ؟ . (٢)

(١) سورة التحريم :- ٦ .

(٢) الصوفية في ميزان الكتاب والسنة :- ص :- ١٦ - ١٩ و ٧ - ١٠ .

الفصل الخامس :- موقف الصوفية واعتقاداتهم من العبادة والدين

الصوفية - خصوصاً - المتأخرين منهم منهج في الدين والعبادة يخالف منهج السلف، ويبعد كثيراً عن الكتاب والسنة . فهم قد بنوا دينهم وعباداتهم على رسوم ورموز، واصطلاحات اخترعوها، وهي تتلخص فيما يلي :-

(١) قصرهم العبادة على المحبة ، فهم يبنون عباداتهم لله على جانب المحبة، ويهملون الجوانب الأخرى ، كجانب الخوف والرجاء ، كما قال بعضهم :- أنا لا أعبد الله طمعاً في جنته ولا خوفا من ناره ولا شك أن محبة الله تعالى هي الأساس الذي تبنى عليه العبادة ، ولكن العبادة ليست مقصورة على المحبة كما يزعمون ، بل لها جوانب وأنواع كثيرة غير المحبة كالخوف والرجاء والذل والخضوع والدعاء إلى غير ذلك ، فهي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .)

ويقول العلامة ابن القيم :-

وعبادة الرحمن غاية حبّه ... مع ذلّ عابده هما قطبان .
وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان .

ولهذا يقول بعض السلف :- من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد .

(٢) الصوفية في الغالب لا يرجعون في دينهم وعباداتهم إلى الكتاب والسنة والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما يرجعون إلى أذواقهم وما يرسمه لهم شيوخهم من الطرق المبتدعة ، والأذكار والأوراد المبتدعة ، وربما يستدلون بالحكايات والمنامات والأحاديث الموضوعة لتصحيح ما هم عليه ، بدلاً من الاستدلال بالكتاب والسنة ، هذا ما ينبغي عليه دين الصوفية .

ولما كان هذا مصدرهم الذي يرجعون إليه في دينهم وعباداتهم ، وقد تركوا الرجوع إلى-

-الكتاب والسنة صاروا أحزابًا متفرقين. كما قال تعالى :- (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) (١)

(٣) من دين الصوفية التزام أذكار وأوراد يحفظها لهم شيوخهم فيتقيّدون بها، ويتعبّدون بتلاوتها، وربما فضلوا تلاوتها على تلاوة القرآن الكريم، ويسمونها ذكر الخاصة.

وأما الذكر الوارد في الكتاب والسنة فيسمونه ذكر العامة. فقول لا إله إلا الله، عندهم هو ذكر العامة، وأما ذكر الخاصة، فهو الاسم المفرد :- الله، وذكر خاصة الخاصة (هو).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :- ومن زعم أن هذا، أي قول لا إله إلا الله ذكر العامة وأن ذكر الخاصة - هو الاسم المفرد، وذكر خاصة الخاصة (هو) اى الاسم المضمر فهو ضال - مُضِلٌّ.

(٤) غلو المتصوفة في الأولياء والشيوخ خلاف عقيدة أهل السنة والجماعة. فإن عقيدة أهل السنة والجماعة موالاة أولياء الله ومعادات أعدائه، قال تعالى :- (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (٢) وقال تعالى :- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) (٣)

(٥) من دين الصوفية الباطل تقربهم إلى الله بالغناء والرقص، وضرب الدفوف والتصفيق ويعتبرون هذا عبادة لله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينًا وقت حدوث هذا. "إعلم أنه لم يكن في عنفوان القرون الثلاثة المفضلة، وإنما أحدث هذا في أواخر المائة الثانية، فلما رآه الأئمة أنكروه فقال الشافعي رضي الله عنه :- خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه (التغبير) يصدون به الناس عن القرآن، وقال يزيد بن هارون :- ما يغبر إلا فاسق، ومتى كان التغبير؟.....

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه أيضًا :- وأما الرقص فلم يأمر الله به ولا رسوله، ولا أحسب من

(١) سورة الأنعام :- ١٥٣ .
(٢) سورة المائدة :- ٥٥ .
(٣) سورة الممتحنة :- ١ .

- الأشهة ، بل قد قال الله في كتابه :- (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ) (١)
وقال في كتابه :- (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) (٢) أي بسكينة ووقار، وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود .

فهؤلاء الصوفية الذين يتقربون إلى الله بالغناء والرقص يصدق عليهم قول الله تعالى: (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا) (٣)

(٦) ومن دين الصوفية الباطل ما يسمونه بالأحوال التي تنتهي بصاحبها إلى الخروج عن التكاليف الشرعية نتيجة لتطور التصوف، فقد كان أصل التصوف، كما ذكره ابن الجوزي :- رياضة النفس، ومجاهدة الطبع، برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة، من الزهد والحلم والصبر، والإخلاص والصدق . (٤)

(١) سورة لقمان :- ١٩ .
(٢) سورة الفرقان :- ٦٣ .
(٣) سورة الأعراف :- ٥١ .
(٤) حقيقة التصوف :- ص :- ١٧ - ٣٣ .

الفرع الأول :- عقيدة الصوفية في الإله عز وجل .

الله عز وجل هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، خلق المخلوقات وأوجدها ، وأمر الثقلين الجن والإنس بأوامره ونواهيه عن نواه ، من قام بامتثال أمره فيها دخل في طاعته ، ومن أبى صار من أعدائه ، وهو غني عن الخلق وعبادتهم ، وجعل لكلا الفريقين جزاء عادلا إما الثواب أو العقاب .

وقد وصف الله نفسه في كتابه الكريم ووصفه نبيه بالصفات الثابتة لله عز وجل ، فهو رب كل شيء ومالكه ، ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّآ آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا ۝ لَقَدْ أَحْصٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَرْدًا ﴾ (١)

ولقد استقر في أذهان العقلاء مباينة الله لخلقه وقربه منهم بعلمه وإحاطته وأنه متفرد بأسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وأمرنا عز وجل أن نصفه بما وصف به نفسه في كتابه الكريم وبما وصفه به نبيه الكريم ﷺ غير معطلين ولا محرفين ولا مكيفين ، ذاته لا تشبه ذوات خلقه ، وصفاته لا تشبه صفات خلقه حتى وإن اتفقت التسمية فإنها لا تتفق في الحقيقة وتبقى المباينة بسبع الحقائق مما لا يخفى إلا على من لم يفهم الحق .

هذا هو الاعتقاد الذي أمر الله العباد به فما هو موقف الصوفية منه ، إن المتتبع لعقائد زعماء الصوفية يجد أنهم يعتقدون بوجود معبود لا حقيقة له قائمة بذاته معبود لم يذكر في الشريعة الإسلامية ولم تدل عليه العقول ولا الفطر السليمة إنه معبود غير رب العالمين تعالى وتقدس

يظهر في صورة الصوفي العابد الذي وصل إلى مرتبة النيابة عن الله في تصريف أمور هذا الكون والتحكم فيه بحكم نيابته عن الله وعلمه بكل المغيبات ورؤيته لله في كل وقت لارتفاع المباينة بينه وبين الله عز وجل الذي يظهر أحيانا في صورة شاب وأحيانا في صورة الأكل والشارب ، وأحيانا في صورة شخص كأنه محجور عليه تعالى بعد أن فوض الكون وما فيه إلى أقطاب الصوفية يتصرفون فيه بما يشاءون ، كما تفيد أقوالهم

---

(١) سورة مريم :- ٩٣ - ٩٥ .

- وتبجحهم بذلك .

الفرع الثاني :- الحلول .

ولقد أصبح الحلول من لوازم الصوفية الغلاة ومن المبادئ الأساسية عندهم، وكتبهم مملوءة بذلك نثراً ونظماً، وقد اختلف العلماء في تعريف الحلول :-

فمنهم من قال :- هو اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد

ومنهم من قال :- هو اختصاص شيئ بشيئ ، بحيث تكون الاشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر .

واستعمل بعض المتصوفة لفظ الحلول ليشيروا به إلى الصلة بين الرب والعبد واللاهوت والناسوت ، بمعنى أن الله تعالى يحل في بعض الأجساد الخاصة ، وهو مبدأ نصراني وأول من أعلنه من الصوفية الحسين بن منصور الحلاج ، حين عبر عن ذلك في أبياته الشعرية التي يقرر فيها أن الله تعالى حال في كل شيئ ، وأنه لا فارق بين الخالق والمخلوق .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا — نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته — وإذا أبصرته أبصرتنا .

وليس هذا فقط ، بل أحياناً يختلط الحابل بالنابل فيحصل بين الرب والعبد مدّ وجزر حسب ما يتصوره ابن عربي في قوله :-

فمن حال أقربه — وفي الأحيان أجحده
فيعرفني وأنكره — وأعرفه فأشهده
فإني بالغني وأنا — أساعده وأسعده
فيخدمني وأخدمه — ويحبدني وأعبده .

ولكن بعد هذه المراوغة استقر الأمر على أن الله هو نفس كل موجود على ظهر الأرض، فهو العاشق والمعشوق، والرجل والمرأة، فالأجسام صور عنه، وذلك في قوله:-

فمن ليلى ومن لبنى ومن هند ومن بثنه
ومن قيس ومن بشر ألبسوا كل سحر عينه.

وفي قوله أيضا:-

فحين الخلق عين الحق فيه فلا تنكر غلاة الكون عينه.
فإن فرقت فالعرفان باد وإن لم تعتبر فالبين بينه.

وقد ملأ كتابه الذي سماه بالفتوحات المكية أشعارًا وشروحًا لها حول هذا الاتحاد والحلول.

ويقول ابن الفارض عن الذات الإلهية كما يتصور:

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم بمظهر حوا قبل حكم النبوة.
وتظهر للعشاق في كل مظهر من اللبس في أشكال حسن بديعة.
ففي مرة لبنى وأخرى بثينة وآونة تدعى بعزة عزت.

ويقول ابن عطا الله السكندري في بيان حقيقة الولي:-
(ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول:- لو كشف عن حقيقة الولي لعُبد، لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته)
وقال أيضًا في وجود الله تعالى وأنه لا خفاء به ولا حجاب عليه: (كيف يتصور أن يحجبه شيئ وهو الذي ظهر بكل شيئ).

ومما قاله ابن عربي في تقريره حلول الله تعالى عن كلامه في المرأة أن الأمر بالغسل، لأن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره، فلهذا أحب النبي صلى الله عليه وسلم النساء لكمال شهود الحق فيهن، إذ لا مشاهد الحق مجردًا عن المراد، فشهود الحق في النساء أعظم شهود وأكمله، وأعظم الوصلة النكاح..... قال:- فمن جاء لامرأته أو لأنثى بمجرد الالتذاذ ولكن لا يدري بمن كما قال:-

صح عند الناس أبي عاشق غير أنهم لم يعرفوا عشقي لمن .

كذلك هذا أحب الإتخاذ فأحب المحل الذي يكون فيه - هو المرأة - ، ولكن غاب عنه روح المسألة فلو علمها لعلم بمن التذ؟ ومن التذ؟ وكان كاملاً قال شاهد الحق في المرأة كان شهوده في منفعل وهو أعظم الشهود ويكون حبًا إلهيًا.

الفرع الثالث :- وحدة الوجود .

وحدة الوجود عقيدة إلحادية تأتي بعد التشبع بفكرة الحلول في بعض الموجودات، ومفادها أنه لا شيئ إلا الله وكل ما في الوجود يمثل الله عز وجل لا انفصال بين الخالق والمخلوق ، وأن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيئ سواه البتة ، وهي فكرة هندية بوذية مجوسية .

وهذا هو المبدأ الذي قام عليه مذهب ابن عربي الذي قال :- سبحان من خلق الأشياء وهو عينها ، وتجرأ على تفسير كتاب الله بغير علم فاستدل بآيات من القرآن الكريم زاعمًا أن الله أطلق إسم الوجود على نفسه كما في قوله :- ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ (١) ﴿لَّوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (٢) ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾ (٣) واستدلا بأحاديث موضوعة مثل حديث : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) وهذا الاستدلال من أغرب وأنكر ما تلفظ به قائل .

إذ كيف يتأتى لهم القول أن القرآن والسنة يدعوان إلى الإلحاد والكفر بالله ؟ ولا شك أن هذه العقائد الإلحادية قديمًا جدًا في العبادات الهندية والديانات البوذية.

وقد انقسم أصحاب هذه المبادئ الإلحادية فريقين :-

(١) الفريق الأول :- يرى أن الله سبحانه وتعالى روحًا ، وأن العالم جسمًا لذلك الروح، فإذا سما الإنسان وتظهر التصق بالروح أي بالله .

---

(١) سورة النور :- ٣٩ .
(٢) سورة النساء :- ٦٤ .
(٣) سورة النساء :- ١١٠ .

(٢) الفريق الثاني :- وهؤلاء يزعمون أن جميع الموجودات لها حقيقة لوجودها غير وجود الله . فكل شيئ في زعمهم هو الله تجلى فيه .

ولقد وصل الهوس والجنون بابن الفارض - بناء على عقيدته أن الله هو عين كل شيئ - وصل به الحال إلى أن يعتقد أنه هو الله حقيقة ، لأن الله حسب خرافاتهم هو عين كل شيئ ، فهو على هذا يمثل الله - تعالى عن قولهم .

وابن عربي من أساطين القائلين بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وصحة الأديان - كلها ، مهما كانت في الكفر إذ المرجع والمآل واحد ، ومن هنا فهو يقول :-

عقد الخلائق في الإله عقائدًا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه .

والواقع أنه ما من مسلم يشك في كفر أو ارتداد من قال بوحدة الوجود ، وعلماء الإسلام حينما حكموا بكفر غلاة المتصوفة من القائلين بوحدة الوجود والحلول والاتحاد حكموا أيضا بكفر من لم يرتكفيرهم .

ولقد قال شيخ الإسلام عن هؤلاء :- (إن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى ومشركي العرب)

الفرع الرابع :- اعتقاد الصوفية في الرسول ﷺ .

فهو ضرب من الخيال والإلحاد ، فهم يزعمون :-

(١) أن الله كان في عماء دون تعيين فأراد أن يتعين في صورة فتعين في صورة محمد ﷺ ، أي أنهم يعتقدون أن محمدًا ﷺ هو الله سبحانه وتعالى ذاتًا وصفةً حيث تعينت فيه الذات الإلهية في صورة مادية كما قرر الكشخانلي ومحمد العمراش - والجيلي والبيطار والقاشاني والفوتي وعلي حرازم والشعراني .

(٢) وأن الذي هاجر من مكة إلى المدينة هو الذات الإلهية متجلية في صورة هو محمد ﷺ كما قرر ابن عربي ذلك في قوله :- (اللهم أفضل صلاة صلواتك وسلامك

- تسليماتك على أول التعينات المفاضة من العلماء الرباني وآخر التنزلات المفاضة إلى النوع الإنساني المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيئ ثان إلى المدينة.... الجمع بين العبودية والربوبية الشامل للإمكانية والوجودية.)

(٣) أن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث يشاء في أقطار الأرض إلى اليوم ليتبدل بعد وفاته.

(٤) كل هذه الموجودات إنما وجدت من نور محمد صلى الله عليه وسلم ثم تفرقت في الكون. وهكذا فقد أصبح من الأمور المسلمة عند الصوفية أن هذا الكون وكل ما يحصل فيه من خير وفيض، إنما يتم عن طريق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا المعتقد مقرر في كتب الصوفية كلهم من التيجانية أو من غيرهم. ولهذا يقول المنوفي في بيان تلك القضية:-

لله در القائل:-

ما أرسل الرحمن أو يرسل	من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه	من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده	نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها	يعلم هذا كل من يعقل

أي أن كل من يعقل - ولو قال كل من يجهل لكان أصوب - يعرف تمام المعرفة أن هذا الكون وما فيه إنما هو مستمد لبقائه ووجوده من محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو الرب تعالى في تعينه الثاني.

ويقرر ابن عطاء الله السكندري ذلك بقوله: (جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة).

ومما لا يجهله أي مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم عبد بشر مثل سائر البشر كرمه الله تفضلاً ومنة عليه بالرسالة مثل سائر الأنبياء والرسل.

وهو عليه الصلاة والسلام غني عن مبالغات الصوفية وأكاذيبهم الحمقاء، فكل ما قرره أقطاب الصوفية من أولهم إلى آخرهم حول الحقيقة المحمدية ونشوء الخلق-

-عنها فإنه كلام خارج عن عقيدة المسلمين ومن دان بها فلا حظ له في الإسلام بل هو مجوسي وثني.

(٥) يعتقدون كما قرره ابن عربي أن الرسول ﷺ كان يعرف القرآن قبل نزوله بل إنه على حسب زعمهم هو الذي يعلم جبريل الذي بدوره يوحيه إلى محمد ﷺ ثانية.

ومن الصوفية مثل أبي يزيد البسطامي من يزعم أن الرسل كانوا أقل من مرتبتهم حيث قال: (خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله)، وهذه الافتراءات كلها إلحاد وزندقة وشبهات مظلمة وإبطالها مما لا يشق على مسلم عرف شيئًا عن تعاليم الإسلام، فإن القرآن منزل من عند الله تعالى على نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام وهذه هي عقيدة كل مسلم، ومن لم يؤمن بها أو شك فيها فلا حظ له من الإسلام ولا صلة بينه وبين المسلمين. (١)

(١) فرق معاصرة :- ص :- ١٣٩ - ١٤٤.

الفصل السادس:- أبرز الشخصيات عند الصوفية

ومن شخصياتهم المشهورة :-

أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤ - ٣٠٩ هـ) ولد بفارس مفيدًا لرجل زرادشتي، ونشأ في واسط بالعراق وهو أشهر الحلوليين والاتحاديين، رمي بالكفر وقتل مصلوبًا لتهم أربعة وجهت إليه :-

(١) لاتصاله بالقرامطة.

(٢) لقوله (أنا الحق).

(٣) لاعتقاد أتباعه بألوهيته.

(٤) قوله في الحج حيث يرى بأن الحج إلى البيت الحرام ليس من الفرائض الواجب أداؤها.

في شخصيته كثير من الغموض، فضلاً عن كونه متشددًا وعنيدًا ومغاليًا، له كتاب (الطواسين) الذي أخرجه وحققه ماسينيون. (١)

أبو يزيد البسطامي :- طيفور بن عيسى بن آدم بن شروسان، (ت ٢٣٤ هـ أو ٢٦١ هـ) ولد في بسطام من أصل مجوسي (٢) وكان جده مجوسيًا وأبوه من أتباع زرداشت، روي بأنه ذهب إلى رجل مقصود مشهور بالزهد فشاهده يرمي ببصاقه تجاه القبلة فانصرف عنه ولم يسلم عليه قائلاً :- (هذا غير مأمون على أدب من آدب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأمونًا على يدعيه) (١) وكان شيخه في التصوف كرديًا، ويقال: إنه أخذ عقيدة الفناء الصوفي عن أبي علي السندي الذي علمه الطريقة الهندية التي يسمونها مراقبة الأنفاس، والتي وصفها هو بأنها عبادة العارف بالله. (٣)

هو محي الدين بن عربي الملقب بلقب الشيخ الأكبر (٥٦٠ - ٦٣٨ هـ) رئيس مدرسة

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة :- ص:- ٣٤٢، ٣٤٣.

(٢) موقع الخيمة.

(٣) بدع الاعتقاد : ص:- ٢٥٥.

- وحدة الوجود، يعتبر نفسه خاتم الأولياء، ولد بالأندلس، ورحل إلى مصر، وحج، وزار بغداد، واستقر في دمشق حيث مات ودفن، ولبن فيها إلى الآن قبر يزار، طرح نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلى فيه جميع الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق في وحدانية الله، ولبن كتب كثيرة يصل بعضهم بها إلى ٤٠٠ كتاب ورسالة ما يزال بعضها محفوظا بمكتبة يوسف آغا بقونية ومكتبات تركية أخرى، وأشهر كتبه (روح القدس) و (ترجمان الأشواق) وأبرزها (الفتوحات المكية) و (فصوص الحكم).

أبو حامد الغزالي الملقب بحجة الإسلام (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) ولد بطوس من إقليم خراسان، رحل إلى جرجان ونيسابور، ولازم نظام الملك، درّس في المدرسة النظامية ببغداد، واعتكف في منارة مسجد دمشق، ورحل إلى القدس ومنها إلى الحجاز ثم عاد إلى موطنه، وقد ألف عددا من الكتب منها (تهافت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال) وأهمها (إحياء علوم الدين) ويعد الغزالي رئيس مدرسة الكشف في المعرفة، ومن جليل أعماله هدمه للفلسفة اليونانية وكشفه لفضائح الباطنية.

أبو الفتوح شهاب الدين السهروردي (٥٤٩ - ٥٨٧ هـ) ولد بسهرورد بإيران، تنقل كثيرا، صاحب مدرسة الإشراق الفلسفية التي أسسها الجمع بين آراء مستمدة من ديانات الفرس القديمة ومذاهبها في ثنائية الوجود وبين الفلسفة اليونانية في صورتها الأفلاطونية الحديثة ومذهبها في الفيض أو الظهور المستمر. وقد حوكم وقتل بفتوى من علماء حلب بسوريا، من كتبه (حكمة الإشراق) و (هياكل النور) و (التلويحات العرشية) و (المقامات).

أبو القاسم الجنيد (ت ٢٩٧ هـ) أصله من نهاوند، ولد ونشأ بالعراق، وهو تلميذ الحارث المحاسبي، يقول: (التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به) وقد سئل عن قوم من أهل المعرفة يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل فقال: (... إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهذه عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا).

أبو الحسن الشاذلي (٥٩٣ - ٦٥٦ هـ) وهو صاحب الطريقة الشاذلية، من أقواله (إنما

لتنظر إلى الله ببصائر الإيمان والإتقان، فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان.)(١) وبعض الأقوال فيه متضاربة :- فبينما ينقل عنه الشعراني في طبقاته أنه: "كان يقول: إذا عارض كشفك الكتاب والسنة، فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف" وينقل عنه أيضاً: "أنه كان يقول: أنا الآن لا أنتسب إلى أحد، بل أعوم في عشرة أبحر، محمد وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجبريل وميكائيل .... إلخ. (٢)

ذو النون المصري (ت ٢٤٥ هـ) من مدرسة الزهد، ينحدر من أصل قبطي أو نوبي هو أول من مهد لظهور مذهب المعرفة في التصوف حيث يقول: (عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي.)(١) وهو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، أخذ التصوف عن شقران العابد أو إسرائيل المغربي على حسب رواية ابن خلكان وعبد الرحمن الجامي. ويؤكد الشيعة في كتبهم ويوافقهم ابن النديم في الفهرست أنه أخذ علم الكيمياء عن جابر بن حيان، ويذكر ابن خلكان أنه كان من الملامتية الذين يخفون مقوامهم عن الناس ويظهرون استهزاءهم بالشريعة، وذلك مع اشتهاره بالحكمة والفصاحة.

ويعد كتاب الصوفية المؤسس الحقيقي لطريقتهم في المحبة والمعرفة، وأول من تكلم عن المقامات والأحوال في مصر، وقال بالكشف وأن للشريعة ظاهراً وباطناً. ويذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي، وأول من وضع تعريفات للوجد والسماع، وأنه أول من استعمل الرمز في التعبير عن حاله، وقد تأثر بعقائد الإسماعيلية والباطنية- وإخوان الصفا بسبب صلاته القوية بهم، حيث تزامن مع فترة نشاطهم في الدعوة إلى مذاهبهم الباطلة، فظهرت له أقوال في علم الباطن، والعلم اللدني، والإتحاد، وإرجاع أصل الخلق إلى النور المحمدي، وكان لعلمه باللغة القبطية أثره على حل النقوش والرموز المرسومة على الآثار القبطية في قريته مما مكنه من تعلم فنون التنجيم والسحر والطلاسم الذي اشتغل بهم. ويعد ذو النون أول من وقف من المتصوفة على الثقافة اليونانية، ومذهب الأفلاطونية الجديدة، وبخاصة شيولوجيا أرسطو في الإلهيات، ولذلك كان له مذهب الخاص في المعرفة والفناء متأثراً بالغنوصية. (٣)

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ص:- ٣٤٢ - ٣٤٤.
(٢) بدع الاعتقاد: ص:- ٢٠٧.
(٣) موقع الخيمة.

إبراهيم بن أدهم (ت ١٦١ هـ) حيث إنه ترك الملك والسلطان وأقبل على الزهد والتصوف.

سفيان الثوري (٩٧ - ١٦١ هـ) من العلماء الزهد، يقول: (الزهد في الدنيا هو قصر الأمل وليس بأكل الخشن ولا بلبس العباء).

رابعة العدوية المتوفاة سنة ١٣٥ هـ أو ١٨٠ هـ أو ١٨٥ هـ وقد جمعت بين الزهد والحب أو ما يسمونه بالعشق الإلهي كما أنها ساهمت في إثراء الأدب الصوفي. (١)

أحمد بن الرفاعي :- المتوفي سنة ٥٧٨ هـ، يحاول أتباعه إثبات نسبة إلى رسول الله ﷺ أيضًا.
يذكر صاحب القلادة أن الرفاعي لما حج عام ٥٥٥ هـ وقف تجاه الحجرة العطرة النبوية وقال :- السلام عليكم ياجدي، فقال له عليه أفضل صلوات الله: وعليك السلام يا ولدي، وسمع ذلك كل من في المسجد النبوي، ومد له رسول الله يده الشريفة العطرة من قبره الأزهر فقبلها، في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل؟! ثم قالوا: "وإنكار هذه الكرامة كفر".

أحمد البدوي: والملقب بالسيد البدوي، فقد أحاطوه بمظاهر التقديس، وجعل قرينًا لرسول الله وغيره من الأنبياء، وزعموا أن شفاعته لا يصل إلى مثلها الأنبياء، وأنه يطلع على الغيب، وأن الأرض تطوى له، وأنه قادر على إحياء الموتى، وإماتة الأحياء، وأنه يخرج من قبره عندما يستغيث به أحد ممن يتعرض لقاطع طريق، وأنه يتكلم من قبره، وقد ادعى السيد البدوي أنه من نسل رسول الله ﷺ. (٢)

الحكيم الترمذي :- أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الترمذي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ أول من تكلم في ختم الولاية وألف كتابًا في هذا أسماه ختم الولاية كان سببًا لاتهامه بالكفر وإخراجه من بلده ترمذ، يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: (تكلم طائفة من الصوفية في (خاتم الأولياء) وعظموه كالحكيم الترمذي، وهو من غلطاته، فإن الغالب على كلامه الصحة بخلاف ابن عربي فإنه كثير التخليط). (مجموع الفتاوى ١/٣٦٣). وينسب إليه أنه قال: (الأولياء خاتم كما أن الأنبياء خاتمًا)، مما مهد الطريق أمام فلاسفة الصوفية

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ص:- ٣٤٢.
(٢) بدع الإعتقاد: ص:- ٢٠٩، ٢١٠.

- أمثال ابن عربي وابن سبعين وابن هود والتلمساني للقول بخاتم الأولياء، وأن مقامه يفضل مقام خاتم الأنبياء. (١)

واختصرنا هذه الفصول الأخيرة بذكر بعضها لطول الكلام فيها، وما لم نذكر أكثر.

———•••———

وأسأل الله جل وعلا أن يرزقنا الإيمان الصادق والعلم النافع والعمل الصالح.
وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد، خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين.

(١) موقع الخيمة.

بعض المراجع عن الصوفية (كتب الصوفية)

(١) الرسالة القشيرية . للقشيري .
(٢) عوارف المعارف . للسهروردي .
(٣) لطائف المنن . للسكندري .
(٤) جمهرة الأولياء . للمنوفي .
(٥) جواهر المعاني . علي حرازم .
(٦) رماح حزب الرحيم . الفوتي .
(٧) الطبقات الكبرى ، الشعراني .
(٨) الفتوحات الربانية . ابن عربي .
(٩) فصوص الحكم . ابن عربي .
(١٠) تائية ابن الفارض . ابن الفارض .
(١١) تخريج الأربعين السلمية في التصوف . للسخاوي ، تحقيق علي حسن .
(١٢) الهداية الربانية في فقه الطريقة التيجانية . محمد السيد التجاني .
(١٣) الغنية لطالبي طريق الحق . عبد القادر الجيلاني .
(١٤) رفع الشبهات عما في القادرية والتجانية من الشطحات لجنة جماعة الصوفية في ألورن . (١)

(١) فرق معاصرة :- ص :- ٩١٥ ، ٩١٦ .

بعض الكتب التي ألفها علماء الإسلام من غير الصوفية .

(١) الصوفية والفقراء . شيخ الإسلام ابن تيمية .
(٢) الجزء ١١ من مجموع فتاوى شيخ الإسلام .
(٣) هذه هي الصوفية . عبد الرحمن الوكيل .
(٤) الفكر الصوفي . عبد الرحمن عبد الخالق .
(٥) التصوف معتقداً ومسلكاً . صابر طعيمة .
(٦) التصوف المنشأ والمصدر إحسان إلهي ظهير .
(٧) التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث . مصطفى حلمي .
(٨) إلى التصوف يا عباد الله . الجزائري .
(٩) التجانية . علي ابن محمد الدخيل الله .
(١٠) رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي . جمع وتحقيق موسى الدويش .
(١١) النقشبندية عرض وتحليل . عبد الرحمن دمشقية .
(١٢) كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق . عبد القادر حبيب الله السندي .
(١٣) الهداية الهادية إلى الطائفة التجانية . محمد تقي الدين الهلالي .
(١٤) الصوفية نشأتها وتطورها . محمد العبدة ، طارق عبد الحليم .
(١٥) نظرات في معتقد ابن عربي . كمال محمد عيسى .
(١٦) الرفاعية . عبد الرحمن دمشقية .
(١٧) نظرية الإتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام . سارة عبد المحسن السعود . (١)

(١) فرق معاصرة : ص: ٩١٧ ، ٩١٨ .

عقيدة المسلم

إن كان تابع أحمد متوهّبًا ... فأنا المقرّ بأنني وهّابي

أنفي الشريك عن الإله فليس لي ... ربٌّ سوى المتفرد الوهاب

لا قبّة ترقى ولا وثنٌ ولا ... قبرٌ له سبب من الأسباب

كلا ولا حجر ولا شجر ولا ... عين (١) ولا نُصُب من الأنصاب

أيضًا وليست معلّقًا لتميمة (٢) ... أو حلقةٍ أو ودعةٍ أو ناب

لرجاء نفع أو لدفع بلية ... الله ينفعني ويدفع عابي

والابتداع وكل أمر محدث ... في الدين ينكره أولو الألباب

أرجو بأني لا أقاربه ولا ... أرضاه دينًا، وهو غير صواب

وأعوذ من جهمية (٣) عنها عتت ... بخلاف كل مقوّل مرتاب

والاستواء (٤) فإنني حسبي قدوة ... فيه مقال السادة الأنجاب

الشافعي ومالك وأبي حنيفة ... وابن حنبل التقي الأواب

وبعصرنا من جاء معتقدًا به ... هاهوا عليه مجسّم وهابي

جاء الحديث بغربة الإسلام ... فليبك المعذب لغربة الأحباب

فالله يحمينا ويحفظ ديننا ... من شرّ كل معاند سبّاب

ويؤيد الدين الحنيف بعصبة ... متمسكين بسنة وكتاب

لا يأخذون برأيهم وقياسهم ... ولهم إلى الموحدين خير مآب

قد أخبر المختار عنهم أنهم ... غرباء بين الأهل والأصحاب

سلكوا طريق السالكين إلى الهدى ... ومشوا على منهاجهم بصواب

من أجل ذا أهل الغلو تنافروا ... عنهم فقال ليس ذا بعجاب

مع علمهم بأمانة وديانة ... فيه ومكرمة وصدق جواب

صلى عليه الله ما هبّ الصبا ... وعلى جميع الآل والأصحاب

(الشيخ ملا عثمان)

---

(١) عين :- ماء يغتسلون بها للتبرك والشفاء .

(٢) التميمة :- الخرزة ونحوها توضع للحماية من العين .

(٣) الجهمية :- فرقة ضالة تنكر أن الله في السماء ، وتقول أن الله في كل مكان .

(٤) الاستواء :- هو العلو والارتفاع .

خاتمة

الحمد لله فاطر الخلق ومُوجِده، ومُظهر الحق ومُنْجِده، الذي جعل الحق وَزَرًا لمن اعتقده، وعُمرًا لمن اعتمده، وجعل الباطل مُزِلًّا لمن ابْتَغَاه، ومُذِلًّا لمن اقتفاه.

والصلاة والسلام على الصفوة الصافية، والقدوة الهادية، محمدٍ وآله خيارِ الورى، ومنار الهدى. وبعد:-

فهذا هو دين الصوفية قديمًا وحديثًا وهذا موقفهم من أصول العبادة والدين، ولم ننقل عنهم إلا القليل مما تضمنته كتبهم وكتب منتقديهم وما تدل عليه ممارساتهم المعاصرة، ولم أتناول إلا بعض الجوانب من جوانب البحث حولهم. هو ما احتوى هذا البحث الصغير وبقيت جوانب أخرى التي لم أتناولها، كموقفهم من الرسالات وموقفهم من الشريعة والقدر، إلى غير ذلك.

وبفضل من الله جل وعلا أتممت هذا البحث الصغير تحت موضوع "العقيدة الصوفية في اللمحة الشرعية"

هذا ما يسر الله لي من إتمام هذا البحث من حيث أني أشرت إلى العقيدة الصوفية وبعض الجوانب حولهم حسب طاقتي. وأريد أن أبيّن في نهاية هذا البحث بعض الأمور التي اشتملها هذا البحث، في النقاط التالية:-

(١) أن للصوفية منهج في الدين والعبادة يخالف منهج السلف الصالح، ويبعد كثيرًا عن الكتاب والسنة.

(٢) قصرهم العبادة على المحبة، فهم يبنون عبادتهم لله على جانب المحبة ويهملون الجوانب الأخرى، كجانب الخوف والرجاء.

(٣) الصوفية في الغالب لا يرجعون في دينهم وعبادتهم إلى الكتاب والسنة والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم. إنما يرجعون إلى أذواقهم مما يستدلون بالحكايات والمنامات والأحاديث الموضوعة لتصحيح ما هم عليه من العقيدة.

(٤) ومن دين الصوفية التزام أذكار وأوراد يفتحها لهم شيوخهم فيتقيدون

- بها، ويتعبّدون بتلاوتها، وربما فضّلوا تلاوتها على تلاوة القرآن الكريم.

(٧) غلو المتصوفة في الأولياء والشيوخ خلاف عقيدة أهل السنة والجماعة.

(٧١) من دين الصوفية الباطل تقربهم إلى الله بالغناء والرقص، وضرب الدف، والتصفيق. ويعتبرون هذا عبادة لله.

(٧١١) ومن عقيدتهم الباطلة جزمهم أن الله تعالى يحل في بعض الأجساد الخاصة، مع الإشارة هنا إلى الصلة بين الرب والعبد واللاهوت والناسوت. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه.

(٧١١١) ومن كراماتهم التي يزعمونها أن الأولياء من الصوفية لهم القدرة على المشي على الماء والسحاب وكلام البهائم وظهور الشيء من غير موضعه، وتحويل التراب إلى خبز، وغيرها من كراماتهم.

(١x) الجهاد عندهم قليل جدًا فهم مشغولون بجهاد أنفسهم على زعمهم.

(x) الصوفية طوائف عديدة وأهواء متباينة، شأن كل أصحاب البدع حين يتركون المنهج الذي شرعه الله.

وختامًا إني أقدم هذا الجهد المتواضع معترفًا بعجزي وتقصيري في إعطاء هذا العلم حقه. ولا أبرئ نفسي من الزلل والخطأ، لأن الزلل والخطأ من طبيعة البشر، فأرجو ممن يطلع فيه على زلة أو خطأ، أن ينبهني عليه مشكورا لعلي أتداركه.

ولا أنسى في هذا المقام أن أقدم الشكر الجزيل لأساتذتي الذين يتعبون تجاه تطوير طلاب كليتنا "ابن عباس العربية" في مستوى العلمي بإلزام تقديم بحث علمي تحت موضع معين في سنتهم الأخيرة من الدراسة. خاصة لأستاذي المشرف "فضيلة الشيخ أبو حامد فتح الرحمن بن محمد عثمان" حفظه الله تعالى. لما بذله من قصارى جهده في إعداد هذا البحث مع أنه مشغول بأمور الدعوة إلى الله تعالى جدًا جدًا.

هذا وأسأل الله جل وعلا التوفيق في العمل أخيرًا وليس آخرًا، وأن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

خادم الكلية

وسيم بن مزمل.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية على ترتيب السور.
فهرس الأحاديث النبوية على الترتيب الهجائي.
فهرس المصادر والمراجع على الترتيب الهجائي.
فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية على ترتيب السور

الآيات	السور	رقم الآيات	الصفحة
تلك أمانيهم .	سورة البقرة	١١١	٤٩
شهر رمضان الذي أنزل	سورة البقرة	١٨٥	١٠
الحج أشهر معلومات	سورة البقرة	١٩٧	١٠
للفقراء الذين أحصروا	سورة البقرة	٢٧٣	٥٢
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .	سورة البقرة	٢٨٦	٤٢
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني	سورة آل عمران	٣١	١٠
قل أطيعوا الله والرسول	سورة آل عمران	٣٢	١٠
يختص برحمته من يشاء	سورة آل عمران	٧٤	٣٣
ومن يبتغ غير الإسلام دينًا	سورة آل عمران	٨٥	٩٦
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق	سورة آل عمران	١٠٢	٤ ، ١٠
واعتصموا بحبل الله جميعا ...	سورة آل عمران	١٠٣	٥
ولا تحسبن الذين قتلوا	سورة آل عمران	١٦٩	٧١
يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم	سورة النساء	١	٤
لوجدوا الله توابًا رحيمًا .	سورة النساء	٦٤	١٠٥
إن الصلاة كانت على المؤمنين	سورة النساء	١٠٣	١٠
يجد الله غفورًا .	سورة النساء	١١٠	١٠٥
إنما وليكم الله ورسوله والذين	سورة المائدة	٥٥	١٠٠
يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر	سورة المائدة	٩٠	٩٧
ولو أشركوا لحبط عنهم	سورة الأنعام	٨٨	٩
وأن هذا صراطي مستقيما	سورة الأنعام	١٥٣	٥١ ، ١٠٠
الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا .	سورة الأعراف	٥١	١٠١
أولئك كالأنعام بل هم أضل	سورة الأعراف	١٧٩	٩٢
فاستقم كما أمرت ومن تاب	سورة هود	١١٢	٩
ونفخت فيه من روحي	سورة الحجر	٢٩	٧٣
إن في ذلك لآيات للمتوسمين .	سورة الحجر	٧٥	٧٣

الآيات	السور	رقم الآيات	الصفحة
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .	سورة الحجر	٩٩	١٠
ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً	سورة النحل	٣٦	٥
وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس	سورة النحل	٤٤	٤
وأوحى ربك إلى النحل ...	سورة النحل	٦٨	٧٣
أولئك الذين يدعون يبتغون إلى	سورة الإسراء	٥٧	١٠
فمن كان يرجو لقاء ربه	سورة الكهف	١١٠	٩
إن كل من في السموات والأرض إلا آتي....	سورة مريم	٩٣	١٠٢
لقد أحصاهم وعدهم عداً ٥ وكلهم آتيه.....	سورة مريم	٩٤ ، ٩٥	١٠٢
وقل رب زدني علما .	سورة طه	١١٤	٨٠
وما أرسلنا من قبلك من رسول	سورة الأنبياء	٢٥	٥
إنهم كانو يسارعون في	سورة الأنبياء	٩٠	١٠
ووجد الله عنده .	سورة النور	٣٩	١٠٥
وعباد الرحمن الذين يمشون	سورة الفرقان	٦٣	١٠١
ومن أضل ممن اتبع هواه	سورة القصص	٥٠	٥
كل شيئ هالك إلا وجهه	سورة القصص	٨٨	٣٥
ولا تكونوا من المشركين	سورة الروم	٣١	٥١
كل حزب بما لديهم فرحون	سورة الروم	٣٢	٥١
واقصد في مشيك واغضض.....	سورة لقمان	١٩	١٠١
لقد كان لكم في رسول الله	سورة الأحزاب	٢١	٩
يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً.....	سورة الأحزاب	٧٠	٤
يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم	سورة الأحزاب	٧١	٤
أفمن شرح الله صدره للإسلام	سورة الزمر	٢٢	٧٣
ولقد أوحي إليك وإلى الذين	سورة الزمر	٦٥	٩
بل الله فاعبد وكن من	سورة الزمر	٦٦	٩
ثم جعلناك على شريعة من الأمر.....	سورة الجاثية	١٨	٩
إن أتبع إلا ما يوحى إلي	سورة الأحقاف	٩	٩
وما خلقت الجن والإنس	سورة الذاريات	٥٦	٥
كل امرئ بما كسب رهين .	سورة الطور	٢١	٤٢

الآيات	السور	رقم الآيات	الصفحة
وما آتاكم الرسول فخذوه	سورة الحشر	٧	٩
يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي	سورة الممتحنة	١	١٠٠
يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم	سورة التحريم	٦	٩٨
إن لدينا أنكالا وجحيما .	سورة المزمل	١٢	٨٥
فألهمها فجورها وتقواها .	سورة الشمس	٨	٧٢
ألم يجدك يتيما فآوى	سورة الضحى	٦	٢٢
ووجدك ضالا فهدى	سورة الضحى	٧	٢٢
ووجدك عائلا فأغنى	سورة الضحى	٨	٢٢
فأما اليتيم فلا تقهر	سورة الضحى	٩	٢٢
وأما السائل فلا تنهر .	سورة الضحى	١٠	٢٢
وأما بنعمة ربك فحدث	سورة الضحى	١١	٢٢

فهرس الأحاديث النبوية على الترتيب الهجائي

طرف قول النبي ﷺ	الراوي	المخرج	الصفحة
ألا إن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون		رواه البيهقي	٧١
أمرنا رسول الله ﷺ يوماً نتصدق، فوافق...	عمر بن الخطاب	أبو داود، الترمذي	٨٠
إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم.....		رواه البيهقي.	٧١
إتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر.....	أبو سعيد الخدري	أخرجه الطبراني في الكبير	٧٤
اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه...		أبو داود.	٨٠
ابكوا، فإن لم تبكوا، فتباكوا	سعيد بن أبي وقاص.	رواه ابن ماجه.	٨٤
أن رسول الله ﷺ ذكر عنده... (إن لدينا...		رواه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان	٨٥
بينا أنا نائم أوتيت بقدح لبن فشربت....	ابن عمر رضي الله عنهما	رواه البخاري	٨٠
خذوا عني مناسككم..	جابر رضي الله عنه	رواه مسلم	١٠
صلوا كما رأيتموني أصلي	مالك بن الحويرث	متفق عليه.	١٠
طلع البدر علينا من ثنيات...		رواه البيهقي (في دلائل النبوة)	٨٦
فإن أصدق الحديث كتاب الله...	جابر بن عبد الله	ابن ماجه، الترمذي، أبو داود	٥
كأني أنظر إليه إذا انحدر...	ابن عباس رضي الله عنه	رواه البخاري.	٧١
كيف أصبحت حارثة		رواه البزار في مسنده (٢٦/١)	٧٥
لولا أن الشياطين يحومون على قلوب...		رواه ابن ماجه	٧٦
لقد كان فيما قبلكم من الأمم....	أبو هريرة.	مسلم.	٧٣
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا....	عائشة رضي الله عنها	رواه مسلم	١٠
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس...	عائشة رضي الله عنها	متفق عليه	١٠
ما حاك في قلبك فدعه وإن...		رواه أحمد (٢٢٨/٤ ، ٢٢٨٠٢)	٧٣
ولقد تركتكم على مثل البيضاء....	العرباض بن سارية	ترمذي، أبو داود، أحمد	٥
ولما أرادوا غسل النبي ﷺ اختلفوا....		رواه أحمد (٢٦٧/٦ - كنز)	٧٤
يا رسول الله أخبرني عن أي شيء تبكي أنت...	عمر رضي الله عنه	رواه مسلم	٨٤

فهرس المصادر والمراجع على الترتيب الهجائي

حرف الباء :-

بدع الاعتقاد

للشيخ محمد حامد الناصر، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ - 1990 م)، مكتبة السوادي- للتوزيع.

حرف التاء :-

التصوف المنشأ والمصدر

للشيخ إحسان إلهي ظهير (١٩٤١ ء - ١٩٨٧ ء)، إدارة ترجمان السنة للنشر.

حرف الحاء :-

حقيقة التصوف

للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ)، دار القاسم للنشر والتوزيع (١٤١٨ هـ)

حرف الدال :-

دراسات في التصوف

للشيخ احسان إلهي ظهير، (١٩٤١ ء - ١٩٨٧ ء)، إدارة ترجمان السنة للنشر.

حرف الصاد :-

الصوفية في ميزان الكتاب والسنة.

للشيخ محمد جميل زينو، دار المحمدي للنشر والتوزيع (١٤١٥ هـ).

حرف الفاء :-

فرق معاصرة

للشيخ د. غالب بن علي عواجي، الطبعة الثالثة (١٤١٨ هـ - 1998 م)، الجزء الثاني، دار ليبنة للنشر والتوزيع.

حرف الميم :-

موسوعة أهل السنة — للشيخ عبد الرحمن دمشقية ، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) ، المجلد الثاني ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، مكتبة الشقري.

مشكلة الغلو في الدين — للشيخ عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الطبعة الثانية (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) ، الجزء الثاني ، مؤسسة الرسالة للنشر.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. — الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض ، الطبعة الثانية (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) WAMY.

مصرع التصوف — للشيخ برهان الدين البقاعي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل (رحمه الله) (١٠٩٠ - ١١٥٠ هـ) ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع.

المصادر العامة للتلقي عند الصوفية — للشيخ صادق سليم صادق ، (الطبعة الأولى) (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) ، مكتبة الرشد للنشر

مجلة المجتمع العدد ١٦٨٧ - ٥ محرم ١٤٢٧ هـ - ٤/٢/٢٠٠٦ م ص: - ٣٨ .

موقع الغيمة .

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
قبسات من كتاب الله العزيز الحميد .	٢
تقديم فضيلة الشيخ أبو حامد فتح الرحمن بن محمد عثمان .	٣
المقدمة .	٤
خطة البحث .	٧
ضوابط العبادة الصحيحة .	٩
التمهيد .	١١
الباب الأول :-	١٤ - ٥٢
الفصل الأول :- تعريف التصوف .	١٥
الفصل الثاني :- بدء التصوف وظهوره .	١٩
الفصل الثالث :- مراتب الصوفية ومصطلحاتهم .	٢٧
القطب وهو الغوث .	٢٧
الإمامان .	٢٧
الأوتاد .	٢٨
البدلاء .	٢٨
النجباء .	٢٨
النقباء .	٢٨
الملامتية .	٢٨
الأفراد .	٢٨
الولي .	٣٢
الفصل الرابع :- أقسام المتصوفة وطرقهم وأسمائهم .	٤٠
الطريقة النقشبندية .	٤٣
الطريقة الكبراوية .	٤٤
الطريقة الياسوية .	٤٤
الطريقة القادرية .	٤٤

الموضوعات	الصفحة
الطريقة الرفاعية .	٤٦
الطريقة الشاذلية .	٤٧
الطريقة التيجانية .	٤٨
الطريقة الأحمدية .	٥٠
الطريقة الدسوقية .	٥٠
الطريقة الكبرشية .	٥٠
الطريقة الملامتية .	٥٠
الطريقة المولوية .	٥٠
الطريقة الأكبرية .	٥١
الطريقة الجيلانية .	٥١
أسماء الصوفية وسبب تسميتهم بها .	٥٢
الصوفية .	٥٢
أرباب الحقائق .	٥٢
الفقراء .	٥٢
البجوعية .	٥٢
الملامية أو الملامتية .	٥٢
الباب الثاني :-	٥٤ - ١١٣
الفصل الأول :- مصادر التصوف .	٥٤
أولاً :- الكشف :- تعريفه .	٥٦
أنواع الكشف .	٥٧
أولاً :- رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته .	٥٩
ثانياً :- الخضر - عليه الصلاة والسلام .	٦٠
ثالثاً :- الإلهام .	٦٢
رابعاً :- الفراسة .	٦٣
خامساً :- الهواتف .	٦٤
سادساً :- الإسراءات والمعاريج الصوفية .	٦٥

الموضوعات	الصفحة
سابعاً : - الكشف الحسي .	٦٦
ثامناً : - الرؤى والمنامات .	٦٨
أدلة الكشف .	٧٠
أولاً : - رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته .	٧١
ثانياً : - الخضر - عليه الصلاة والسلام .	٧٢
ثالثاً : - الإلهام .	٧٢
رابعاً : - الفراسة .	٧٣
خامساً : - الهواتف .	٧٤
سادساً : - المعاريج والإسراءات .	٧٤
سابعاً : - الكشف الحسي .	٧٥
ثامناً : - الرؤى والمنامات .	٧٦
ثانياً : - الذوق :- تعريفه .	٧٦
أنواع الذوق .	٧٨
أولاً : - الذوق .	٧٨
ثانياً : - الشرب .	٧٨
ثالثاً : - الرّيّ .	٧٩
أدلة الذوق .	٧٩
ثالثاً : - الوجد :- تعريفه .	٨١
أنواع الوجد .	٨١
أولاً : - التواجد .	٨١
ثانياً : - الوجد .	٨٢
ثالثاً : - الوجود .	٨٣
أدلة الوجد .	٨٤
مصادر أخرى للتلقي عند الصوفية .	٨٦

الموضوعات	الصفحة
الفصل الثاني : - كرامات الصوفية .	٨٩
الفصل الثالث : - الجهاد عند الصوفية .	٩٣
موقف الصوفية من الجهاد ومقاومة الإستعمار .	٩٤
الفصل الرابع : - أقوال الصوفية .	٩٦
الفصل الخامس : - موقف الصوفية واعتقاداتهم من العبادة والدين .	٩٩
الفرع الأول : - عقيدة الصوفية في الإله عز وجل .	١٠٢
الفرع الثاني : - الحلول .	١٠٣
الفرع الثالث : - وحدة الوجود .	١٠٥
الفرع الرابع : - إعتقاد الصوفية في الرسول صلى الله عليه وسلم .	١٠٦
الفصل السادس : - أبرز الشخصيات عند الصوفية .	١٠٩
أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج .	١٠٩
أبو يزيد البسطامي .	١٠٩
محي الدين بن عربي .	١٠٩
أبو حامد الغزالي .	١١٠
أبو الفتوح شهاب السهروردي .	١١٠
أبو القاسم الجنيد .	١١٠
أبو الحسن الشاذلي .	١١٠
ذو النون المصري .	١١١
إبراهيم بن أدهم .	١١٢
سفيان الثوري .	١١٢
رابعة العدوية .	١١٢
أحمد بن الرفاعي .	١١٢
أحمد البدوي .	١١٢
الحكيم الترمذي .	١١٢
بعض المراجع عن الصوفية .	١١٤
بعض الكتب التي ألفها علماء الإسلام من غير الصوفية .	١١٥

الموضوعات	الصفحة
عقيدة المسلم .	١١٦
خاتمة .	١١٧
الفهارس :-	١٢٠
فهرس الآيات القرآنية على ترتيب السور .	١٢١
فهرس الأحاديث النبوية على الترتيب الهجائي .	١٢٤
فهرس المصادر والمراجع على الترتيب الهجائي .	١٢٥
فهرس الموضوعات .	١٢٧

* * *

تم العمل بعون الله الملك الوهاب .